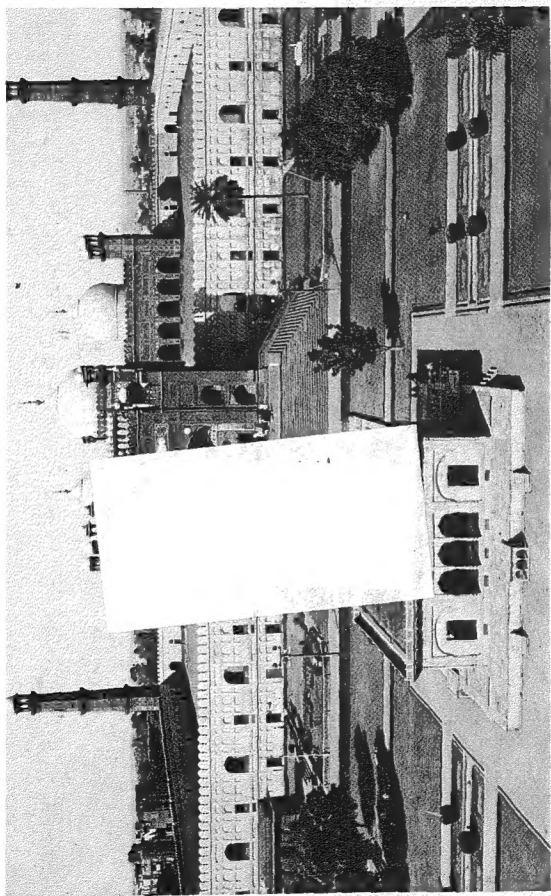


الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية





مسجد بادشاہی لاہور پاکستان



قد نرى تقلب وجهك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره .

(صدق الله العظيم)

الغلاف بخط محمد سعد الحداد

التمن

٥. طلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	المصراق
٥. فلسا	الاردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
١ روبية	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعدن
٥. قرشا	لبنان وسوريا
٤. مليما	مصر والسودان

الإشتراك السنوي للهيئات فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلها بالاسفوليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ - كويت

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد الثاني والتسعون

غرة شعبان ١٣٩٢ هـ

١١ سبتمبر (الاول) ١٩٧٢ م

نصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وابقاظ
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حديث الشهر

الحِصْمُ... وَالْحُسَامُ

في اللغة :

الحِصْمُ : من معانيه في اللغة القطع ، ومنه قول الحق تبارك وتعالى فيما حاق بمعاد قوم هود من المذاب لعتوهم وجبروتهم وتمردهم على الله ورسالته : « وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » والحسوم القاطعة المستمرة في القطع . أى أنها حسمتهم وأفنتهم ، فلم يبق منهم أحدا . ومما يذكر أنه لم يرد في القرآن الكريم من هذه المادة إلا هذا اللفظ .

والحسام : السيف القاطع ، ومنه قول أبي حراشي الهذلي :

ولولا نحن أرهقه صهيب حسام الحد ندرو يا خشيبا

ومما يجرى على الألسنة من هذه المادة جريئنا عربيا صحيحا : حارب حاسمة ، ولحظة حاسمة وموقف حاسم ، ورأى حاسم :

والحرب الحاسمة هي الفاصلة التي يتقرر فيها مصير المتحاربين . نصر كاسح لفريق ، وهزيمة منكرة للفريق الآخر لا تقوم له من بعدها قائمة . .

واللحظة الحاسمة : هي التي تمر بالإنسان في انتظار أمر هام يقع فيها ويكون له تأثير كبير في حياته كاللحظة التي ينتظر فيها الطالب نتيجة اختباره

واللحظة التي يترقب فيها المتهم النطق بالحكم له أو عليه .. والموقف الحاسم هو الذي يتخذه الإنسان تجاه أمر معين .. ويمضى في طريق تنفيذه دون تردد ولا توقف ، ولا مبالاة بما يجريه عليه من تضحيات ومفارم ، وما سيتحمله في سبيله من جهد ومشقة . ثقة منه بأنه لا بديل عنه في تحقيق الهدف وبلوغ الغاية .. ويقدم الموقف الحاسم رأى قاطع في مجال تعدد الآراء وتضارب الحلول وتأرجح العقول بين الاقدام والاحجام مثلاً والتريث والسرعة واليمين واليسار والصراحة والمجاملة والوضوح والالتواء .

وليس الحسم عجلة تورث ندامة ، ولا اندفاعاً أعمى يقود إلى التهلكة بل الحسم بكل معانيه وكافة صورته يحتاج إلى العقل الناضج الذي لا يطيش ولا يتأثر بالأهواء .. وإلى الدراسة العميقة التي تحيط بالأمر من كل جوانبه .. وإلى الخبرة الواسعة التي تصقلها التجارب والأحداث .. وإلى المشورة الآمنة التي تستند إلى الصدق والاخلاص ، ولا تعرف المجاملة والنفاق .. وإلى انتهاز الفرص التي لا تدرك إلا باليقظة والمبادرة وسرعة البت والتفويض .

والحسم يقابله التردد ، وفي مناهات التردد ودروبه المنقوية وشعابه المظلمة تضيق معالم الطريق ، وتبعد رؤية الهدف ، وتكثر التخمينات والحدسيات ويتولد من الوهم أوهام ، ويتمخض الفرض عن فروض ، ويتفرع عن الاحتمال احتمالات ، ويبعد القريب ، ويعظم الصغير ، ويتراءى السراب ماء وعود القباب بركاناً والذباب طائراً ، والتردد لا يحل مشكلة ، ولا يفصل في أمر ، ولا يؤدي إلى نجاح قضية صغرت أو كبرت . خصت أو عمت ، والتردد يغرق في شبر ماء ويضل الطريق وسط الأضواء الكاشفة والعلامات الهادية ، والتاجر المتردد لا يربح لأنه يبالغ في احتمال الخسارة ، والخائف المتردد لا يأمن لأنه يتوهم أن الخطر يحيط به من كل مكان ، والمسؤول المتردد لا يحل عقدة ، ولا يبرم أمراً ولا يقطع برأى ، والقائد المتردد يحارب ولا يحارب ، ويفزى ولا يفزى ويعرض نفسه وجيشه للفتك والابادة ، والتردد مزرعة خصبة للمساومات والتنازلات عسّن الحقوق ، وهو يحل العزم ويوهن الإرادة ويبدد القوى .

يقول الأستاذ أحمد أمين : أكره ما أكره التردد . يقدم الرجل رجلاً ويؤخر أخرى ، ويقدم ثم يحجم ، ويحجم ثم يقدم ، وتقوت بذلك الفرص وتعمد الأمور ، وكثير من الناجحين في الحياة إنما نجحوا لبتهم لا لترددهم .. وكان العرب يمدحون الفتى بسرعة البت وقوة الحزم ويقول قائلهم :

إذا هم الفتي بين عينيه عزمه / ونكب عن ذكر العواقب جانباً

ويحمل على التردد الهرب من المسؤولية فإن العمل تصحبه المسؤولية دائماً ، فهو يفضل ألا يعمل حتى لا يسأل ، وهذا عين ما تقع فيه حكومات

الشرق - تتردد حتى لا تسأل ، وتسير على الطريقة المتبعة حتى لا تسأل لدانها
عن السوابق حتى تأمن الخطأ ، ولذلك قل عندها التجديد ، وعندي أن البت مع
الخطأ خير من التردد مع الصواب .
والحسم يلزمه إهمات الفضائل : الحزم والعزم والارادة القوية والثقة
والثبات وقوة العقيدة والتصر والنجاح فى الحياة .
والتردد يلزمه إهمات الرذائل : الجبن والضعف ، وفقدان الثقة بالنفس
والشك ووهن العزيمة والارادة والهزيمة والاخفاق فى الحياة .

العقيدة والحسم :

والزلم ما يكون الحسم فى مجال العقيدة ، فهى لا تقبل المساومة ، ولا
الالتقاء فى منتصف الطريق ، ولا موضع للمجاملة على حسابها ، والانتقاص
منها ، وصاحب العقيدة لا يتخلى عن شىء منها لأن الصغير منها كالكبير ، بل
ليس فى العقيدة صغير وكبير . انها حقيقة واحدة متكاملة الاجزاء . لا يطيع
فيها صاحبها احدا ، ولا يتخلى عن شىء منها ابدا ، وأهل الباطل على استعداد
للتخلى عن كثير من عقيدتهم وقد حسم القرآن الكريم الأمر فى المساومات التى
حاول بها كفار مكة أن يزحزحوا رسول الله عن عقيدته ، أو يصرفوه عن المضى
فى تبليغ رسالة ربه .

لقد ساوم مشركو مكة رسول الله ، وأرادوا على عادة المساومين أن
يلتقوا معه فى منتصف الطريق ، وطلبوا منه أن يداعنهم ويلينهم بعدم تسفيهه
عبادتهم وسب آلهتهم ليعايشوه ويتابعوه فى بعض ما جاء به ، وأغروه بالمسال
والجاه وبالمك ، ولكن الرسول كان حاسما فى موقفه من دينه لا يداعن فيه
ولا يلين وهو من هو البين الناس خلقا واحسنهم عشرة ، فاما الدين فهو الدين
وأما العقيدة فهي العقيدة ، ونزل القرآن الكريم يحذر الرسول من مساومة
المشركين ويفضح حقيقة أمرهم قال تعالى : « ودوا لو تدهن فيدهنون » .

ويروى ابن اسحاق فيقول « اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يطوف بالكعبة - الأسود بن المطلب بن أسد والوليد بن المغيرة وأميه بن خلف
والعاص بن وائل السهمي ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد
هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشرك نحن وأنت فى الأمر ، فان كان الذى
تعبد خيرا مما تعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وان كان ما تعبد خيرا مما تعبد كنت
قد أخذت حظك منه ، فنقطع الله هذه المحاولة ، وأفسد المساومة ، وفصل بين
عقيدة وعقيدة ، وأنزل : « قل يا أيها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا أنتم
عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى
دين » .

نزلت هذه السورة بهذا الجزم ، وبهذا التوكيد وبهذا التكرار لتهنى كل
قول وتقطع كل مساومة .

مواقف حاسمة :

ويذكر التاريخ الاسلامي من مواقف عمر بن الخطاب الحاسمة موقفا فريدا وقفه عمر لتوّه ولحظته ولولاه لمصفت ربح الخلاف بالامة الاسلامية في اشد اوقاتها واحرج الظروف التي مرت بها ، فبعد لحوق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى ووقوع الفرقة بين المهاجرين والانصار فيمن يستخلف بعده رأى عمر في هذه اللحظات السريعة المليئة بالمفاجآت ان الفردد يوسع الشقة وأن القمهل مهلكة فاتخذ في نفسه قرارا غاصلا ووقف موقفا حاسما رأى ان ابا بكر وحده من بين اجلاء الصحابة عو الذي يجب ان يستخلف ويبيع دون ابطاء فقد اجتمع له شرائط السن والسبق في الاسلام وصحبة النبي في الغار وكان أول امير للحج في حياة الرسول وهو الوحيد الذي اختير لاهامة المسلمين في الصلاة أثناء مرض النبي - فوقف عمر دون تردد ولا ابطاء في سقيفة بنى ساعدة على ملا المسلمين من المهاجرين والانصار وتقدم الى ابي بكر وبايعه ، وقال له انت افضل مني ، فقال ابو بكر وانت اقوى مني ، فقال عمر ان قوتي لك مع فضلك ، فكان هذا افضل الخطاب ، وتتابع الناس بعد ذلك على بيعه ابي بكر فكان حسم عمر ويطلقه وقوة ارادته اسرع من الفتنة واقطع لدابر الفرقة وسببا لجمع كلمة المسلمين .

وتتوالى الاحداث في مطلع خلافة الصديق ، فيواجهها رضى الله عنه بالحسم والعزم .. يمشى بعث أسامة بن زيد ، ويضرب بتحذير المحذرين عرض الحائط ويقول : والله لا اخل عقدة عقدها رسول الله ولو أن الطير تخطفننا والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة .. وتنت فتنة الردة ويغضب الصديق غضبه ، ويقابل الفتنة من بدايتها الى نهايتها بما يتطلبه الموقف من اليقظة والسرعة وقوة البت والتنفيذ ويقول « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لوس منهنوني عنانا لقاتلنهم عليه » ولولا حسم ابي بكر لتغير وجه التاريخ قال ابو رجاء البصري : دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ، ويقول له : انا غداؤك ولولاك لهلكنا ، قلت : من هذان . قالوا عمر يقبل رأس ابي بكر في قتال أهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين .

ان النجاح في القضايا المصيرية يتوقف على الحسم والسرعة والمبادرة : فليس يكسب المعركة القائد الذي لا يقدم الا اذا كان واثقا من نصره ، مائة في المائة وليس يكسب المعركة القائد الذي لا يريد أن يضحي بشيء من جنوده ، والعربي المجرب عبر عن هذا بمثله المسائر « من مأمنه يؤتى الحذر » ، والله جل شأنه يقول لرسوله الكريم : « فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى

فكرة الخير والشر

للدكتور/محمد محمود قاسم

لقد عالج المفكرون الاسلاميون فكرة الخير والشر بصور مختلفة ، و ربطوا بينها وبين القضاء والقدر ومشيئة الله المطلقة . والخلاف في هذه المسائل بين أكبر طائفتين من علماء المسلمين ونعني بهما المعتزلة والاشعرية اشتهر من ان يشار اليه . وقد سبق ان عرضنا لهذا الخلاف في دراسات سابقة (١) ، مما يعفينا من تكرار انفسنا ، اذ من الافضل ان نعرض وجهة نظر جديدة ربما كانت أكثر خصوصية على المستويين الفلسفي والديني . ونعني بذلك وجهة نظر محيي الدين بن عربي الذي خصص لهذه المسألة جانباً كبيراً من عنايته وتفكيره . ونسارع الى القول بأنه عالج موضوع الخير والشر من الناحيتين الميتافيزيقية والدينية وما يترتب على ذلك بالنسبة الى كل من السلوك الانساني في الحياة ومسألة الثواب والعقاب .

وقد يبدو . في النظرة الاولى . ان هناك تفاوتاً في تفكيره في هذين المستويين . لكن يجب ان نقرر ان النظرة الموضوعية كشفت لنا عن أن فكرة واحدة تسري في كل ما كتبه في هذا الموضوع . ويمكن تلخيص هذه الفكرة في أنه كان يؤمن بأن أعمال الله كلها خير . وأن الشر لا يظهر في العالم الا بسبب

تركيب الكائنات واستعدادها لقبول هذا الخير الإلهي بدرجات متفاوتة ، بل هو أمر عارض بسبب وجود هذا العالم مما يوحى إلى ابن عربى أن الخير هو الأصل ، وأن رحمة الله تستعم الجميع فى نهاية الأمر ، أشقياء كانوا أم سعداء وسنرى أن هذه الفكرة التى يعرضها هنا فكرة ملحة لديه ، وربما يرجع إلحاحها عليه إلى أنه كان من هؤلاء الذين يسلكون ، فى إرشاد الآخرين ، بسلك الترغيب ، أنهما منهجان مختلفان . ونعتقد أن لكل منهما منهما أنصاره ، نظرا لاختلاف طبائع الناس وأمزجتهم ، وعاطفا كانوا أم موعوظين . أما من جانبنا فانا نفضل أن نعرض وجهة نظر ابن عربى بأمانة وموضوعية تاركين لغيرنا الحكم له أو عليه .

• • • • •

النظرة اليتايمية :

أن هذا المتصوف يقرر لنا أن المحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين يقولون بأن الوجود هو الخير المحض ، وأن العدم هو الشر المحض . وأن تلك حقيقة لم يدركها بعض الناس بسبب ما يكتنفها من غموض . ثم يقص علينا أن بعض سفراء الحق ، ويعنى به خاطرا من خاطره قال له : أن الخير فى الوجود وأن الشر فى العدم ، وكان ذلك ، كما يقول هو ، فى حديث طويل علم منه أن الله له الوجود المطلق من غير تقييد . فهو إذن الخير المحض الذى لا شر فيه وأن هذا الوجود المطلق يقابله العدم المطلق ، وهو الشر المحض الذى لا خير فيه . لكن لما كان العدم المطلق لا وجود له ، فليس هناك شر محض . (٢) لكن هناك نوعا آخر من العدم وهو ما يطلق عليه ابن عربى العدم الإضافى أو النسبى ويريد به كائنات هذا العالم عندما كانت مجرد ممكنات فى العلم الإلهى ، قبل أن تخرج إلى حيز الوجود . وأنها مساها بالعدم الإضافى لأن الوجود الذى تكتسبه ، فيها بعد ، ليس أصيلا فيها . بل هو وجود عارض أو معار ، فهى تخرج من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، ثم تعود إلى العالم الذى يسميه أيضا بخزائن الجود الإلهى . فإذا نحن سلمنا بوجود هذا العدم النسبى أو الإضافى أمكن أن نسلم بوجود الشر النسبى فى كائنات هذا العالم عندما اكتسبت بحلة الوجود . لكنه شر عارض وليس أصيلا فيها على نحو ما سنفصل القول فى ذلك

وأما كان الله هو الخير المحض فى نظر ابن عربى لأن الله قد وصفت نفسه بأنه نور السموات والأرض . فهو الخير المحض والوجود المحض لأن « الوجود نور والعدم ظلمة فالشر عدم » (٣) ، ومن ثم يجب أن يوصف العالم الذى خرج إلى نور الوجود بأنه خير ، ولو عرض فيه ما يوهم وجود الشر . وإذا كان الله قد أعطى الوجود للعالم فليس من الممكن أن يحتوى هذا العالم على شر أصيل فيه ، بل أنه ما ظهر عن الله إلا بصورة ما هو الأمر عليه ، وما فى الأصل شر ، لكن إذا قلنا بوجود هذا الشر العارض فى الكسوف فالنسى من ننسبه ؟ أننسبه إلى العالم أم ننسبه إلى الله ؟ إنه لا يمكن أن ننسبه إلى الوجود المحض . كذلك لا يمكن أن ننسبه إلى العالم ، ما دام فى قبضة الله ، وهو الخير المحض التام (٤) . فلم يبق إلا أن ننسبه إلى طبيعة الكائنات الممكنة التى وإن خرجت إلى الوجود ، فلا بد أن يدركها العدم الذى يترقبها . تتبدد ما تطلو عليه من عنصر العدم ينسب للشر إليها . أما الوجود الدائم فهو خير كله . لكن ما دامت

هذه الكائنات موجودة بالفعل فإن الشر الذى تنطوى عليه ليس إلا شراً عارضاً « ونحن فى الخير ، وأن مرضنا فانا نصح . فان الأصل جابر ، وهو النور » (هـ) . وإذا كان الأمر كذلك ، فيمكن القول ، تبعاً لوجهة نظر ابن عربى ، بأن هذا العالم الذى خلق من أجل الخير ، لامن أجل الشر ، قد خلق لتحقيق السعادة فإذا وقع الشر لبعض الكائنات فقد وقع بحكم العرض ولحكمة الهية « لأن الخير المحض الذى لا شرف فيه ، وهو وجود الحق الذى أعطى الوجود للعالم ، لا يصدر عنه إلا المناسب وهو الخير خاصة . فلهذا كان للعالم الخير بالذات » غير أنه من الواجب أن نفرق دائماً بين الله والعالم . ذلك أن الله غنى عن العالم ، والعالم مفتقر إليه دائماً فى وجوده ، أن الله يوجد لذاته فهو الوجود المحض فكيف للعالم الذى يقبل الوجود والمعدم أن يكون فى مرتبة خالقه ؟ والشئ الذى يقبل الوجود والمعدم هو الشئ الممكن وهو الذى يعرض له أن يظهر فيه الشر لأن إمكانه لا يحول بينه وبين المعدم . فبهذا القدر ظهر الشر فى العالم . فما ظهر إلا من جهة الممكن لا من جانب الحق (٦) . فالخير كله من الله ، أما ما يبدو فى مظهر الشر فهو من جانب المخلوق .

إننا نصف الأشياء عادة لأنها لا تتلاءم مع أهوائنا أو مصالحنا الخاصة ، فنجعل أنفسنا مقياساً لتحديد طبيعة الخير والشر فيها . أما فى حقيقة الأمر فإن للعالم خيره الذاتى . وهنا نجد ابن عربى يعالج فكرته هذه على ضوء ما جاء فى القرآن من الاستدلال على وجود الله بوجود العالم . فان الدليل ، وهو العالم ، يكتسب صفة الخير من الدلول عليه ، أى من الله . ولما كان الدليل يشرف بشرف الدلول ، والعالم دليل على وجود الله ، فالعالم شريف كله . فلا يحقر شئ منه ولا يستهان به . هذا إذا أخذنا من جهة النظر الفكرى . وهو فى القرآن « أملاً ينظرون الى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ... » وكقوله « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » وقوله « أن فى خلق السموات والأرض .. الآية » وكقوله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وأمثلة هذه الآيات . وأما عند أهل الكشف والوجود فكل جزء فى العالم أوجده الله لابد أن يكون مستنداً الى حقيقة الهية . فمن حقره أو استهان به حقره خالقه واستهان به وكل ما فى الوجود فانه حكمة أوجدها الله ، لأنها صنعة حكيم فلا يظهر إلا ما ينبغى كما ينبغى . فمن عمى عن حكمة الأشياء فقد جهل ذلك الشئ . ومن جهل كون ذلك الأمر حكمة فقد جهل الحكيم الواضع له ، ولا شئ أقبح من الجهل (٧) وقد يعترض بعضهم فيقول لابن عربى : أنك تصف كل شئ بوجوده فى العالم بأنه خير وحسن ، ثم تراك تحكم بتبع الجهل ، والجهل كائى شئ آخر لا بد أن يستند الى حقيقة الهية ، ويجب ابن عربى : أن الجهل ليس شيئاً وجودياً ، وإنما هو مجرد علاقة أو نسبة : فالجهل إنما هو عبارة عن عدم العلم لا غير . فليس بأمر وجودى . والمعدم هو الشر . والشر قبيح لنفسه حيثما فرضته ولهذا ورد فى الحديث الصحيح : والخير كله بيديك والشر ليس اليك . فما نسب الشر إليه . فلو كان الشر أمراً وجودياً لكان أيجاده الى الله ، إذ لا فاعل إلا الله . فالوجود كله خير ، لأنه عن الخير المحض وهو الله تعالى . أما العالم فليس وجوداً على الحقيقة لأنه مفتقر الى الله دائماً ، ولذلك نرى ابن عربى يصفه أحياناً بأنه ظل الوجود المحض .

اذن ليس الشر الذى قد يعرض للمخلوقات شرًا فى ذاته من حيث ان الله اوجده ، ولكنه يبدو شرًا فى نظر المخلوق الذى يجد أنه لا يناسبه « فمن حيث وجود عينه هو الى الله ، ومن حيث كونه شرًا ليس الى الله » فالؤمن هو الذى ينفى ما نفاه الرسول عن ربه عندما قال : « الشر ليس اليك » (٨) وأذن لا ينسب الى الله الشر المحض ، وهو العدم المطلق ، كما لا ينسب اليه الشر العارض أو المتعبد بالكائنات التى يحتوى عليها العالم . فان ذلك كله ينفى الا يضاف الى الله أدبًا وحقيقة . (٩) ومن ادب الانبياء أنهم ينسبون كل خلق حسن منهم الى الله ، وينسبون كل سوء الى أنفسهم . « فهم يطلبون طريقا لا يشاركون فيها من ليس من جنسهم ولا مقامهم . فلا يزاحمون أحدا فى شيء مما يتحققون به فى نفوسهم ... من الأخلاق الإلهية ، فيكونون مع تحققهم بمعانيها وانطباق أحكامها على ظواهرهم . من الرحمة بالعباد والتلطف بهم والاحسان اليهم ، والتوكل على الله ... ويظهرون فى العالم أن جميع ما يجرى عليهم أن ذلك فعل الله ، لا فعلهم . ويبد الله لا يبداهم ... فيبرعون من أعمالهم الحسنة غاية التبرى . وينسبون ما يعبد شرًا الى أنفسهم لا الى الله ، كما فعل الخضر عندما نسب خرق السفينة الى نفسه لا الى ربه » (١٠) .

ويصف ابن عربى هذه المسألة — ويريد بها نسبة الخير الى الله ونسبة الشر الى المخلوق — بأنها من أغضى المسائل الإلهية . لقد اعتد أهل التكبير النظرى ، من أشاعرة ومعتزلة ، فى تحديد وجهة نظرهم فيها ، على ما هداهم اليه دليلهم النظرى . أما أصحاب الكشف الصوفى فهم الذين يقول عنهم : أنه قد غلب عليهم فهم مقاصد الشرع فناموه « وذلك بركة الورع والاحترام الذى احترموا به الجانب الإلهى ، حقيقة لا مجازا » ولذا فان أدبهم مع الله ، الذى ورثوه عن الانبياء ، هو الذى أرشدهم الى فهم حقيقة ما جاء فى الكتب السماوية على السنة الرسل مما لا تستقل العقول بادراكه وما تستقل ، لكن أخذوه عن الله لا عن نظرهم . وهم أهل الورع الذين جعلوا شعارهم قول الرسول : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وقوله : « استفت قلبك ولو افتك المفتون » فاحسبهم على قلوبهم « ففى القلوب عصمة الهية لا يشمر بها الا أهل المراقبة » (١١) .

ويفسر لنا هذا المتصوف كيف فهم مقصد الشرع فى هذه المسألة الغامضة عند حديثه عن ادب الرسول الذى كان يحمد الله على السراء والضراء ، فيقول فى هذا الموطن ان الرسول كان بشرًا ، وكان يحس بالآلم الحسى والنفسى ، كما كان يحس بالذات الحسية والمعنوية ، لكنه كان يحمد الله على كل حال . ذلك أن ما يعرض فى العالم من أحوال وتشنون لا يؤثر تأثيرا واحدا فى البشر ، بل يختلف باختلاف قبولهم له . فان ما يتضرر به أحدهم قد يكون نفعًا لغيره . فالعلة اذن فى الأشخاص . ذلك أن الأمر الآتى من الله واحد الممين لا انقسام فيه ، فينقسم أمره فينا ويتمدد . إنه لا يصدر عن الخير الا الخير ، والخير وجود كله والشر عدم كله . أما ما نعدده نحن شرًا فليس له ، فى رأى ابن عربى ، حقيقة موضوعية ، وليس قولنا أنه شر الا حكا من جانبنا ، والاحكام أمور نسبية تختلف باختلاف الأشخاص . فما فى الوجود الا الخير وأن تنوعت صورته فظهر فى بعض الأحيان لبعض الناس فى مظهر الشر (١٢) ولو كان للشر وجود حقيقى لكان بيد الحق فان بيده ملكوت كل شيء وهو خالق كل شيء (١٣) وأذن

فما من أمر يعرض فى هذا العالم الا وأمكن أن يكون مصدر لذة أو ألم بالنسبة الى الناس . لكن يجب أن يحمد المرء خالقه ، على كل حال ، سواء أصابه الخير أم أصاب غيره بدلا منه . فمن وجد خيرا حمد الله حمد السراء ، ومن وجد سوءا حمد الله حمد الضراء . وهذا أفضل من الضجر والسخط ، بل هذا نوع من الفضل الإلهى على من ألهمه الله أن يحمد على الضراء أيضا ، فيزيده الله فضلا بأن يزيل الضراء عنه « وهذا معنى دقيق مندرج فى الحمد لله على كل حال أنه مساو لحمد السراء » . . وهذا من جوامع الكلم التى أوتيتها رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤) ثم يوضح لنا ابن عربى هذا المعنى الدقيق ، فيقول: إن الضراء التى يقابلها العبد بالحمد تنطوى ، دون ريب ، على شىء من السراء ، ولولا ذلك لما كان الحمد فى حالة الضراء ثناء على الله وهو من الخير « والحمد ثناء بلا شك فى نفس الأمر . فما فى العالم ضر لا يكون مشوبا برحمة » .

لكن كيف عرض للعالم أن توجد فيه ضروب من الشر ، دون أن تنسب هذه الشرور الى الخالق ؟ ان مصدر هذا الشر العارض فى العالم يرجع الى طريقة تركيبه . فاذا كان العالم الإلهى أو عالم الأمر خيرا محضا لا شر فيه . فإن عالم الخلق هو عالم الأشياء التى تتركب من عناصر مختلفة ومتنافرة . فضروب التركيب بين هذه العناصر هى التى تؤدى الى ظهور الشر (١٥) . ولهذا السبب سألت الملائكة ربها كيف يخلق فى الأرض خليفة يكون سببا فى سفك الدماء وفى الفساد ، نظرا لأنه مؤلف من عناصر متنافرة « والتنافر نزاع ، والنزاع يؤدى الى الفساد » غير أن الله قضى بأن يخلق آدم لأن ما سبترتب على خلقه من شر يدخل فى نطاق ما قررتة الحكمة الإلهية من صلاح العالم بوجوده ، إذ يوجد خير كثير فى خلق الإنسان الى جانب ما يترتب على وجوده من شرور (١٦) فالخير فيه من روح الله الذى يجب الاعتصام به من شرور عالم الخلق . والشرور كلها تنسب الى عالم الخلق . أما الخير فينسب كله الى عالم الأمر . فالإرادة السابقة لله تريد تحقيق الخير . وهناك إرادات لاحقة سمحت بوجود الشر العارض القليل الى جانب الخير الاميل الكثير حتى يصلح هذا العالم . وهذه الإرادات اللاحقة تنسق مع ما قدره الله من تركيب الكائنات من عناصر متنافرة (١٧) فالله قد أعطى الوجود للكائنات أولا « وهو الخير الخالص ثم لم يزل يعطى ما يستحقه الوجود مما به قوامه وصلاحه ، كان ما كان . . . فما ثم الا الخير سواء سر أم إساءة ، وهذا السرور أو النعيم هو المطلوب . لكنه قد لا يتحقق الا بعد الإساءة لما يقتضيه مزاج التركيب » .

فالشر اذن وليد طبيعة الممكنات التى وجود عليها الله بعبثائه ، لكنه شر عارض فى الوجود « وكل عارض زائل » وقد سمي الله نفسه باسم المعطى والنافع والضار لكن عطاءه كله نفع . ومع ذلك فإن بعض الكائنات قد تتضرر بسبب هذا الجود أو العطاء الإلهى « فيتضرر به ولا يعلم ما فيه من النفع الإلهى فيسيه ضارا » وهو جهل أن ذلك لا يرجع الى طبيعة العطاء الإلهى بل يرجع الى طبيعة تركيب من يتقبل هذا العطاء . وهذا أمر تشهد به التجربة فإن بعض الأشياء التى تعود بالنفع على بعض الأمزجة قد تكون ضارة لأمزجة أخرى فالممكنات هى التى تحدد بسبب تركيبها طبيعة الخير والشر . أما عطاء الله فكله خير « فما ثم من الله

الا الخير المحض كله . فمن اتساع رحمته أنها وسعت الضرر . . . فأنضر نسي
الرحمة ما هو ضرر . وأنها هو خير « فالنعيم أو الشقاء إنما يرجع اذن الى طبيعة
الكائن الذى يتقبل المعطاء الالهى أو يرفضه . مثال ذلك ان الحر والبرد ما جساء
كلاهما الا لتحقيق مصالح العالم . فهما ضروريان للنبات الذى يحتاج اليه البشر .
ومع ذلك فانا نجد من يتأذى من البرد أو من الحر . ولكنه لو راجع نفسه لعلم ان
ما يتضرر منه شرط فى تحقيق ما يعود عليه بالنفع (١٨) . فالإنسان هو الذى يرى
الخير فيما يوافقه ويرى الشر فيما لا يوافقه . فى حين ان افعال الله كلها خيـر
« بالريح كان النصر والدمار . فاختلفت الآثار . والعين واحدة صالحة فاسدة ،
تطفئ السراج وتشعل النار ، والهبوب واحد من عين واحدة » .

.

لكن قد يتساءل المرء : ولماذا اختلفت طبائع الكائنات فى هذا العالم مما
يؤدى الى ظهور الشر أو النقص فيه ؟ وله ان يقول ايضا : اذا كان العالم خيرا فى
ذاته وليس الشر فيه الا ظاهرة عارضة اعلم يكن من الخير الا يحتوى على هذا
الشر العارض ؟ وادا لم يكن بد من الشر اعلم يكن من الخير الا يخلق هذا العالم
اطلاقا ؟ وتلك هى الحجة التى يعتمد عليها اهل الإلحاد عادة ، اذ يرون ان العالم
ملئ بالشروع . ولو كان هناك له خير لجرد هذا العالم من الشر حتى تتحقق
السعادة للبشر جميعا . ويجب محبى الدين بن عربى هنا بأن ما يراه الناس من
سعادة أو شقاء ومن عافية أو بلاء إنما هو من تأثير الاسماء الالهية فى العالم .
فألا له اسماؤه العديدة التى لا يمكن أن تكون راحة أو معطلة فهو « يسمى بالمبلى
والمعذب والمنعم » وكل إنسان فى هذا العالم يقبل تأثير هذه الاسماء المتضادة .
فمن الجائز أن يكون شقيا أو سعيدا ، وهذا المزيج من الشقاء والسعادة أو من
العافية والبلاء من سر القضاء والقدر الذى فيه صلاح العالم (١٩) . « فالعالم كله
يمكن ، قابل لأحد الحكيمين اعنى الضدين » من سعادة أو شقاء . لكن هذا لا يمنع
ايضا ، حسب قواعد المنطق ، من أن ينتفى عنه أحد الضدين فى الحياة الأخرى
فنعلم السعادة والرحمة جميع البشر . وسنرى تفصيل رأى ابن عربى فى هذه
المسألة فيما بعد .

ويبقى بعد ذلك ان اخراج الكائنات من حالة الامكان أو حالة العدم النسبى
أو الاضافى إنما هو من صميم الخير . اذ تخرج من شر العدم الى الوجود وهو
خير محض لا شر فيه . وأنها يمرض هذا الشر لتلك الكائنات بسبب العدم الذى
يترقبها فى نهاية الطريق . ذلك أنها لا توجد فى العالم الا الى أجل مسمى . وذلك
هو ما تكشف عنه التجربة الإنسانية بحسب الواقع . فان المرء اذا فكر فى نفسه
وكان سويا فلا بد له من أن يشعر بنعمة الوجود . لكن هذا النعيم ليس خالصا لأنه
يشعر فى أعماق نفسه أنه كائن عابر ، وأنه لم يكن شيئا قبل وجوده الحالى . ولما
كان الموت ينتظره فى نهاية طريقه فإنه يشعر بالألم والضيق . ان هذا الشر الذى
قد ينقص عليه حياته هو أن يدرك أنه كائن عابر فى هذه الحياة .

ومع ذلك فكثير من الناس ينسون الموت فلا يشعرون بهذا الضيق فى أثناء الحياة
حتى يفاجئهم الموت ، مما يقوم دليلا واقعيا على ان الوجود فى مختلف مستوياته

سواء كان وجودا سعيدا أم شقيا ، هو من صميم الخير . كذلك تشهد التجربة العادية أن أكثر الناس يفضلون الحياة بما فيها من شرور وكوارث على الموت ، وما أظن أن شاعرا متبرما بالحياة ، ومثالثها فيها تشاؤم أبى العلاء المعري لم يشعر بضرب من النعيم والسعادة عندما افاض في ذم هذه الحياة والتفكر لها . وإن مجرد الحرص على الحياة دليل على أن المرء سعيد بها رغم لعناته التي يصيبها عليها . فهو سعيد ما دام هذا الوجود يصحبه ، وهو لا يتالم أو يشقى أو يشعر إلا إذا فكر في العدم الذي سبق هذا الوجود (٢٠) . والله لم يخرج العالم بأسره من العدم الذي هو شر إلا إلى الخير الذي أراد له . وليس هذا الخير سوى الوجود . ويمكن القول بأن العالم قد وجد من أجل الخير أصلا . أما إذا عرض له الشر فذلك راجع إلى طبيعته ككائن ممكن . وكل ممكن له وجهان : وجه السيء الحق ووجه إلى غير الحق . فله وجه إلى الحق من حيث هو موجود ، ووجه إلى غير الحق من حيث يلحقه العدم (٢١) .

وإذا ضاق بعض الناس بوجود ضروب من الشر أو انقص في العالم فإن ابن عربي سعيد بوجود هذا النقص لأنه يراه ضروريا لكمال العالم .

لأن به كان الكمال لمن يسدى
من العين مثل البدر في آخر الشهر
ولكنه بدر لمن غاص بالفكر
على أكمل الحالات في البطن والظهر
لكان الوجود الحق ينقص في القدر
مع النقص فانظر ما تضمنه شعري
من أجلى، وما يخفى على الله ما جرى
بين، وحياة الحب، ضمه صدري (٢٢)

واني لاهوى النقص من أجل من أهوى
وما جاء بالنقصان إلا مخافة
وما نقص البدر الذي تبصرونه
يراه تماما كاملا في ضيائه
فلو لم يكن في الكون نقص محقق
فبى كان للحق الوجود كماله
غزال من الفردوس جاء منقبا
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا

إن العالم هو صنعة الرحمن . وكل ما يوجده الرحمن أو يصدر عنه لا بد من أن يحتوى على الرحمة . وإذا انطوى بعض هذا العالم على ألوان من البسلاء أو الفصص فذلك لرحمة فيه . ومن الضروري أن يتجرع المرء هذه الفصص كمسا يتجرع الدواء النافع مع كراهيته له . فالدواء كرهه ، لكن فيه رحمة لمن يتناوله . فباطنة فيه الرحمة ومن قبله العذاب (٢٣) . فما من باب يفتح من عند الله إلا كان من أبواب الرحمة . وهناك نوعان من الرحمة : أحدها خالصة لا أثر للآلام فيها . أما الأخرى فباطنة لأنها تحتوى على ألم عارض ثم تسدو خالصة آخر الأمر . « فالآلام عوارض والذات ثوابت . وكل شيء وله حكمته لأن الله عزيز حكيم يضع الأمور مواضعها وينزلها منازلها (٢٤) » .

إن الأحوال التي تطرأ على العالم يمكن أن توصف بأنها صلاح أو فساد له . « ولكن في نفس الأمر لا يصح أن يعرض للعالم فساد ولا صلاح فيه . فإنه يكون خلاف ما أريد له وجوده . وأما صلاح لا فساد فيه فهو الواقع المراد لصانع العالم . فانه لذلك خلق العالم » . .

لزال عن رتبة الكمالات
كمالاته فيه ذو الجلال
لم يخله الله من جمال

لو لم يكن في الوجود نقص
لكنه ناقص غابسيدي
فكل صنع من كل خلق

ان بعض الناس يؤكدون ان العالم يحتوى على ضروب من النقص الحقيقية
وانه ليس افضل عالم ممكن . ولو لم يوجد أمثال هؤلاء الذين يمدرون مل هذا
الحكم لكان الوجود ناقصا . فمن كمال العالم ان يوجد فيه هؤلاء الذين يصفونه
بالتقص والاضطراب .



-
- (١) انظر كتابنا دراسات في الفلسفة الاسلامية الطيبة الفاتحة دار المعارف ، ومناهج الادلة في عقائد الملة الانجلو المصرية ١٩٦٩ ، وابن رشد وفلسفته الدينية ١٩٦٩ .
- (٢) الفتوحات المكية مجلد ١ ص ٤٦ و ٤٧ ، ٦٥٦/١ .
- (٣) فتوحات ٤٨٦/٢ .
- (٤) فتوحات ٣١٥/٣ .
- (٥) فتوحات ٤٨٦/٢ .
- (٦) فتوحات ٢٨٩/٣ .
- (٧) فتوحات ٢٥٨/٣ .
- (٨) فتوحات الباب ٤١٣ .
- (٩) فتوحات ٤٢٠/١ .
- (١٠) فتوحات ٢٤٥/ ١ .
- (١١) فتوحات ٢٤٦/١ .
- (١٢) فتوحات ٣٧٢/٣ .
- (١٣) فتوحات ٣٦٩/٣ .
- (١٤) فتوحات الباب ٦٨ .
- (١٥) توجد هذه الفكرة عند « لينتس » .
- (١٦) يرى « لينتس » ان جميع الشرور في العالم تدخل في الخطأ الالهية الخيرة لخلق العالم .
- (١٧) فتوحات ٥٧٥/٢ . وتوجد هذه الفكرة ايضا عند لينتس .
- (١٨) فتوحات ٢٥٧/٣ .
- (١٩) فتوحات ٢٦٢/١ .
- (٢٠) فتوحات ٢٠٨/٣ .
- (٢١) فتوحات ٣٧٧/٣ .
- (٢٢) فتوحات ٣٦٠/٢ .
- (٢٣) فتوحات ٥٦٤/٣ - ٥٦٥ .
- (٢٤) فتوحات ٢٠٧/٣ .

طريق الالبسان

للإسفاذ : امين تسار

نظرة في الواقع :

تعالوا نتصور جماعة من الناس وجدوا أنفسهم في بيت لا يعرفون كيف دخلوه . ولا من أين جاءوا إليه ، ولا ماذا يريدون منه . ولا ماذا يراد بهم فيه ، بل هم لا يفكرون شيئا من حياتهم قبله . نحن ، إذا ، أمام حالة من حالات فقد الذاكرة المطلق . ماذا ترى يكون من أمرهم هناك ؟

أنهم يملكون الحواس التي تمكنهم من اكتشاف البيت . ومعرفة ما فيه وما يحيط به ، ويملكون العقل الذي يستطيع أن يفسر ما تنقله إليه الحواس فيخطيء أو يصيب ، بما له من خاصية التفكير المقيد المحدود ، وفيهم جوعات تلح عليهم بطلب الاشباع ..

لكن ذاكرتهم المعطلة تظل جاثمة

عليهم كالكبوس ، من نحن ؟ ولماذا نحن هنا ؟ وإلى أين .. ؟

منهم من يلقي بنفسه — ابتداء — في ضجيج جوعاته ، ويسخر حواسه وعقله لاشباع هذه الجوعات . فيتواري بذلك عن السؤال ولو خداعا وإلى حين ..

ومنهم من يحاول بحواسه الظاهرة أن يتصدى للجواب ، فلا يخرج عما تمنحه إياه تلك الحواس مما تملك أن تقر لأول وهلة : « أنا هنا لأنني موجود هنا ، مخلوق هنا . وعلى أن أتدبر شؤوني ، وأحيا » . وعندما يكتشف أنه في مواجهة السؤال ما يزال . يتشاغل عنه أيضا ، بالعيش .

ومنهم من يمدد عقله بفكر هو نتاج حواسه الظاهرة التي طمس عليها ظلام الذاكرة ، فيسلبه هذا الفكر من دوار إلى دوار ، يهدد فيه

السؤال . ثم يخلص به في خداع النفس . إلى أن السؤال ذاته وهم أو ترف ، فيصرخ مكابرا : ان هذا البيت ، هو على الاول والاخير ! لكن الذاكرة المعقدة تظلل في الكابوس ..



وفي البيت تنشأ علاقات ، وتتعدد تجارب . وترتطم الرؤوس كلها بالجدران المسدودة فتستيقظ ، شيئا فشيئا ، حواس خبيثة تلج في السؤال : من أين ؟ وإلى أين ؟ .. ويكتشف القوم غربتهم عن المكان ، ويكتشف كل منهم غربته عن صاحبه .. فكل عالمه الخاص . وسؤاله الخاص ، وموته الخاص . نعم .. فهم ، كما جاءوا الى هذا البيت . فيها يعرفون ، دون اختيار منهم ، يموتون ، كذلك دون اختيار ، واحدا بعد واحد . يحمل كل سره الكبير . وفي مثل انجاس المساء من الصخر ، في مثل اشراقه فجر بعد ليل دامس ، تلوح لواحد منهم ، استيقظت حواسه الخبيثة ، ملامح مضنية من الذاكرة المطبوسة . تتخالف خبلى مثل بقع من النور نهتز وراء شبك مفلق غارق في الضباب .. والملاح لا تبين ، لكنها تلمسهم : « أنت جئت من مكان معين ، وفي اعماقك آثاره ، نقب عنها تجددها . وانت ذاهب الى مكان معين ، وفي اعماقك علاماتك ، حدث فيها ترها . وحواسك وطاقتك محشودة كلها لرحلة مقررة ، وانت هنا في مهمة معينة ، ولغاية معينة ، وليس هذا البيت الذي أنت فيه الا محطة على الطريق ! » .

ويبوح هذا الواحد لرفاق الطريق بما يرى . فيفكرون . لماذا هو رأى ما لم يروا ؟ ثم .. ماذا يريد ؟ هل كل ما يفصلونه في البيت وهم والحقيقة غير ذاك ؟ هل يبدؤون من

جديد بعد عناء تاريخ طويل ؟ وكل ما أقاموه من علاقات .. هل يهدمونه ؟ وأية علاقات جديدة يقيمون ، لتكون جسرا بين عالمين من خيال يراها هذا الدعى وحده دون سواء ؟؟

ويكذبونه .. ويمضون في تجارتهم بين الجدران : جدران المكان ، وجدران الزمان ، وجدران العقل ، وجدران الحواس . وإذا مات منهم احد غالى ظلية مطبقة يمضى ؟ أما كان يعيش ، كذلك ، في ظلمة مطلقة ؟ ليس ، ثبت ، الا الظلام ! ليكن ! فهو ظلام استساغته الحواس وقد عاشت عمرا طويلا .. !

وصاحب (النبوءة) ماذا يفعل ؟ ان الحقيقة لتلوح له فعلا ، ولكن ضبابية من وراء زجاج غائم ثقيل . ذاكرته تصحو رويدا رويدا ، توظها حواسه الخبيثة ، ولكن مثقلة بنعاس غثظيع ، يهدد بالاستغراق في نوم آخر طويل . فهل تراه يعود ، ومعه (النبوءة) الى القطيع ؟ أم تراه يعيش ، وحده ، في غربة عن الجميع .. ؟

وفي كل واحد منهم ، يلوح . بين الحين والحين . من ظلمات الذاكرة . ضياء ، يجعل لميشه معنى ، لو هو أدركه بجلاء ، ليعرف الصلة بين أمس وغد . لكنهم جميعا يتفقون بصمت ، على الصمت . كي يستمر عيشهم المريح بلا وزر ينقض الظهر . ولا تبعات جسم . وعلى المهمة الكبيرة التي تلوح لهم خيوطها في غبش الليل . السلام .. !

لكن أحلامهم ما تنفك تلون لهم اشياء واشياء ، كأنها هي تسخر منهم ، وتجسد لهم هذا التيه الذي فيه يعيشون .. ويرفضونها ! .. وموتهم اليومي يترصدهم ويوميء الى غد لهم مجهول .. أيرفضونه ؟ أيهزمونه ؟ وكيف ؟ بأنهمك في العيش

ينسى الإنسان نفسه ومبتدأه
ومنتهاه .. ؟؟

وينقسمون ، بعد طول مطاف ،
فريقين : واحدا يعيش فى جماعية
طاغية ، ترى استمرار الحياة
للجماعة ، ولا تريد أن ترى موت
الأفراد .. وترى علاقات الإنسان
بالأشياء ، ولا تريد أن ترى علاقته
بذاته وبحياته وموته . والآخر يترك
لأمراده العاديين البسطاء أن يذهبوا
فى متاهات الفكر والعيش كما
يشاؤون ، ويتسلط عليهم بالقوة
المادية التى يمثلها فيه أفراد أقوى
يذلون القطيع اللامى بأشباع
جوعاته الوحشية تحت عناوين
ثنى ، ويستهوونه كل يوم بجديد ،
يضمن لهم السيطرة والسيادة .

وبين الفريقين فريق ثالث ، تائه .
غامض التركيب ، غير محدد المعالم ،
تختلط خيوط النور فى ذاكرة أفراد
بخيوط الظلام ، فهم لا يتقنون على
أن يعيشوا النور الذى يكتنزون ،
لأن الظلام فيهم أقوى . وعجلة الحياة
تسوقهم وراء الاتوبيات الآخرين :
وغريبتهم تطحنهم : وغريبتهم عن
انفسهم ، وغريبتهم عن البيت ، فلا
يستطيعون أن يكونوا شيئا أى
شيء ، لا فى انفسهم ولا فى البيت .
ولا يملكون الا الصراخ ، كلها عربدت
فيهم مأساتهم : أنهم وحدهم
يعرفون .. ! لسكنة صراخ عاجز
مسكين أشبه بالهذيان .
ويظل البيت كله نهبا مزقنا للمزلة
والشك ، يتعمل بالعبث ، ويرتطم
بالجدران ، فى دهاليز اليأس ، فى
هروب يتجدد ، مع كل مساء ، بين
أنياب الذاكرة المظلمة المعطلة ..
ولكن .. الى متى .. ؟

الطريق الى الحقيقة :

ضربنا هذا مثلا للإنسان المعاصر ،
فى عالمه المعاصر ..

هذا الإنسان الذى يعيش كما لو
كان هو كل شيء ، وكما لو كانت
حياته هذه ، فى دنياه هذه ، هى
أول المطاف ، وهى خاتمة المطاف .
هذا الإنسان الذى يدوخه فى
ظلمات نفسه سؤاله العتيق عما
قبل ، وما بعد ، ولكنه فى زحمة
الأيام ، وتحت وطأة الهموم ، يعتبر
هذا السؤال نفسه ضربا من الترف ،
أو من الهذيان ..

فمن لهذا الضائع يزيح الغشاوة
عن عينيه ؟ من له يحطم الافتال عن
قلبه ؟ من له يزيح الصدا المتراكم عن
روحه ؟ من له يجلو ذاكرته
المطموسة : وينجز منها ينابيع
الاشراق : تروى عقله . وتهدى
حواسه ، وتفرش له طريقه نورا
يتخطى به الموت ، على بصيرة .
الى الخلود .. ؟

ما العقبة الحقيقية فى وجه ذلك
كله ؟ : هل هى الحواس ؟ أم
العقل ؟
بل ما السبيل الى ذلك كله :
الحواس ؟ أم العقل ؟ أم طاقة معطلة
فى الإنسان ، هى فوق الحواس ،
وفوق العقل .. ؟

الحواس ؟ ماذا تقول الحواس ؟
هل تراها تتذكر لو سئلت :

— « فليُنظر الإنسان مم خلق ؟ »
« ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه
فى قرار مكين . الى قدر معلوم ؟ »
« فليُنظر الإنسان الى طعابه »
« ألم تر أن الله أنزل من السماء
ماء فتصبح الأرض مخضرة ؟ » « ألم
تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض ،
والفلك تجري فى البحر بأمره ،
ويمسك السماء أن تقع على الأرض
إلا بإذنه ؟ » .

العقل ؟ ماذا لو دعى العقل الى
النظر بطريقة تفكيره العلمية
المعاصرة ، الى كل ما فى الأرض ثم

الى ما فى السماء . هل تراه يتفكر ؟
 — « أفلا ينظرون الى الإبل كيف
 خلقت ؟ والى السماء كيف رفعت ؟
 والى الجبال كيف نصبت ؟ والى
 الأرض كيف سطحت ؟ » « أفلم يروا
 الى ما بين أيديهم وما خلفهم من
 السماء والأرض ؟ » « أفلم ينظروا
 الى السماء فوقهم ؟ » « قل أنظروا
 ماذا فى السموات والأرض ؟ » « قل
 سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ
 الخلق ! » « ان استطعتم أن تنفذوا
 من أقطار السموات والأرض
 فانظروا ! » .

واذا بدأ العقل النظر ، مستنفرا
 طاقاته كلها : ما أدهر فيه ، وما
 اكتسبه ، ثم اذا وضع نتائج تفكيره
 العلمى موضع البحث العقلى المجرد :
 الا يصل — بالضرورة — الى أن
 الانسان والكون والحياة مخلوقة كلها
 لخالق خلقها ونظمها ؟ ان النداء
 يأتيه ، يلاحق تفكيره ، يقرر له نتائج
 بحثه سلفا ، لعله يتفكر :

— « أفرأيتم ما تمنسون ؟ انتم
 تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ » .
 « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا
 من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » .
 « أم خلقوا من غير شيء ؟ أم هم
 الخالقون ؟ » .

« وترى الجبال تحسبها جامدة
 وهى تبرر السحاب ، صنع الله
 الذى اتقن كل شيء » .
 « وما ترى فى خلق الرحمن من
 تفاوت » . « وابنتنا فيها من كل شيء
 موزون » .

« ومن كل شيء خلقنا زوجين » .
 « انا كل شيء خلقناه بقدر » .
 « وأرسلنا الرياح لوائح » « لقد
 خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » .
 « أولم ير الذين كفروا أن السموات
 والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ؟ » .
 « أن الذين تدعون من دون الله
 لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » .

« ان الله خالق الحب والنوى » .
 ويصل العقل بعد طول مطاف
 بما تهديه اليه الحواس ، وما يتقوده
 اليه البحث ، الى الحق الذى
 يضمحل بجانبه الشك . ثم يزول
 الإنكار :
 — « ايشركون ما لا يخلق شيئا
 وهم يخلقون ؟ » .

« آمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا
 تذكرون ؟ » .
 « قال : ربنا الذى اعطى كل شيء
 خلقه ثم هدى » .
 « لو كان فيها آلهة الا الله
 لفسدنا » .

« أم جعلوا لله شركاء خلقوا
 كخلقه فمشابه الخلق عليهم ؟ » .
 « أمى الله شك فاطر السموات
 والأرض ؟ » .

« فلكم الله ربكم لا اله الا هو
 خالق كل شيء فاعبدوه » .
 « ولئن سألتهم من خلق السموات
 والأرض وسخر الشمس والقمر
 ليقولن الله » .

لكن المطلوب ، لكى تشرق الذاكرة
 المظلمة ، ليس مجرد الاعتراف بأن
 للكون والانسان والحياة خالقا ..
 فذلك ما تؤدى اليه ضرورة العقل ،
 وما تشهد به الحواس بداهة ، وما
 تقر به الفطرة دون معاناة .. وقد
 يظل الانسان — رغم هذا الاعتراف —
 سجين ذاكرته المظلمة .. ان المطلوب
 هو حسن ادراك الصلة بهذا الخالق ،
 وعبادته ، واتخاذها إلها واحدا
 صمدا ، والإقرار بألوهيته فى الفكر
 وفى العمل ومع الأنفاس ، والأذعان
 له فى كل أمر ، فالانسان — أراد أم
 لم يرد — مسوق الى خالقه كما بدأ
 منه . والخلق ما كان عبثا ، انما هو
 لأمر عظيم حقا :

— « يا أيها الانسان انك كادح
 الى ربك كدحا فملاقيه » .
 « وما خلقنا السماء والأرض »

وما بينهما باطلا .
« أفير دين الله يفسون وله
اسلم من في السموات والأرض »
« وهو الذي خلق السموات
والأرض بالحق » .

« أولم يروا أن الله الذي خلق
السموات والأرض ولم يعى بخلقه
بتأدر على أن يحيى الموتى » .
« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
أول مرة » .

« الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم
يميتكم ثم يحييكم » .

« أمحسبتم أنها خلقناكم عبثا
وانكم لنا لا ترجعون ؟ » .
« إلا أن العقول متقيد بحواسه ،

محدود من حيث فكره ، فهو يصل
بفكره وحواسه إلى التسليم بوجود
الخالق عز وجل ، لكنه لا يصل بهما
إلى توحيد هذا الخالق . والإيمان
بآلوهيته . والاطمئنان بحاكميته المطلقة
.. أن الوصول إلى هذه (الحقيقة) ،

والتصديق الجازم بها . والعمل
بمقتضاها : تتولاه قوة مودعة في
الإنسان ، هي فوق العقل وفوق
الحواس : تلك قوة الروح المتوارية
وراء طين الجسد ، الحبيسة وراء
حجب الحواس ، المقيدة بقيود العقل

.. أنها ، لكي تتفجر ينبوعاً نورانياً
لحاجة إلى يد الرحمن ، سبحانه ،
تكشف عنها الغشاوة ، وتهديها إلى
صراطه المستقيم ، وذلك لا يتأتى إلا
بالصلة المستمرة به عز وجل ، بالتوجه
إليه ، بذكره ، وعبادته ، والتباس
الهداية منه ، وطلب المدد من توفيقه ،

فهو ، سبحانه ، المصدر ، واليه
المعاد ، هو الخالق على الدوام ،
وهو الوهاب على الاستمرار ، وهو
نور السموات والأرض . أن اطلاق
الروح من عقالها الترابي ليس بالامر
اليسير ، فما هو بنتائج أحكام عقلية
جامدة باردة تتأرجح قناعاتها حسب

مقاييس الحواس ، ولا هو بشهادة

حواس مقيدة عاجزة يصيبها الكلال
واللال . أنها هو نشدان دائم حميم
لصلة العبد بخالقه العظيم ، حتى
ينفخ العبد إلى حقيقته فيلزمها :
يتذكر نشأته الأولى بشسافية لا
تعوقها الجدران ، وبصيرة لا تنقدها
الحواس ، ويصحب تلك النشأة على
هدى وامتلاء ، فتقتضى به إلى معاد
هو مؤمن به بموقن اليقين كله ، إذ
الاسلام بلا إيمان لا يقبل ، والإيمان
بلا احسان يمنحه التصديق الجازم
لا يصل مقام اليقين :

« كلا لو تعلمون علم اليقين .
لترون الجحيم . ثم لترونها عين
اليقين » .

« يدبر الامر بفصل الآيات . لعلكم
بلقاء ربكم توقنون » .

« .. ويؤتون الزكاة » . وهم
بالآخرة هم يوقنون » .

« فاصبر إن وعد الله حق . ولا
يستخفئك الذين لا يوقنون » .

« وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا
لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون » .

« هذا بصائر للناس ، وهدى
ورحمة ، لقوم يوقنون » .

« ربنا ابصرنا وسمعتنا نخرجنا
نعمل صالحاً ، إنا موقنون » .

« وفي الأرض آيات للموقنين »
« .. أن نظن إلا ظناً وما نحن

بمستيقنين » .
« وكذلك نرى إبراهيم ملكوت

السموات والأرض وليكون من
الموقنين » .

وبديهى أن (يقين الموت) الذي
يشترك فيه الجميع : مؤمنين
وكافرين ، لا يغنى عن يقين الحياة
شيئاً . وإذا كانت الآخرة منزل عين
اليقين للجميع ، فإن الدنيا ينبغي أن
تكون منزل (علم اليقين) للمؤمنين ،
وقد تكون منزل (عين اليقين)
لخواصهم أيضاً .

فالإيمان ، إذا ، برزخ بين الإسلام

ظهورهم ذريتهم ، واشهدهم على انفسهم : الست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا انما اشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفنتكلنا بما فعل المبتطلون ؟ . وكذلك تفصل الآيات ، ولعلمهم يرجعون » .

ذلك هو الميثاق : يشهد به الناموس الذى فطر عليه الانسان ، انه مودع فى كل خلية ، ومستقر فى الروح : اقرارا ربوبية الاله الواحد ، قبل الرسل الذين توجهوا — رحمة من الله بالعباد — الى الحواس والمعى العقل والى الروح . الميثاق الذى يرجع اليه من استيقظت روحه من سباتها فى سجن الطين . رجعة الى الفطرة والمهد مع الله ، تستنفر فى الانسان قوى بصيرته ، فتنفض فى قلبه وفى جوارحه وفى كل كيانه حقيقة التوحيد . بعد ان شهدت حواسه ، واقرب عقله بحقيقة الربوبية والخلق . واذا كان الايمان بوجود الخالق مقربا ، غريزيا ، تؤدى اليه ، بالضرورة . الحواس والعقول بمختلف طرائق تفكيرها ، فان الايمان بتوحيد هذا الخالق ، والوحيته ، وتحكيمه فى كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة — وما ثم صغيرة على وجه التحقيق — هذا الايمان هو موضع التخير ، وهو ثمرة المجاهدة ، وهو مناط الحساب . هو امانة الاختيار الحاسب المسؤول ، التى لم تحملها السموات والارض والجبال ، فى مسيرة مقرة بالربوبية لخالق فى كل نواحيها ، لا تتخلف عنها :

— « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا . ليعذب الله المساكين والمنافقين والمسافقين والمشركين والمشركات ، ويتوب الله

والاحسان . والاسلام هو مظهر الايمان على الجوارح ، ولا يتحقق كاملا الا فى مجتمع اسلامى عندما يدخل الناس فى دين الله أفواجا . أى يتخذون الرب الها واحدا أحدا يدينون بدينه ويطبقون شريعته . وحقيقة الايمان فى الباطن — فى القلب وفى الروح — هى الاحسان : ان تعبد الله كأنك تراه ، وان تعلم على وجه اليقين أنك ان لم تكن تراه فانه يراك . فلا إسلام بغير ايمان . « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » . واسلام هؤلاء هو دخولهم بالشهادتين فى دين الله . أى فى ظل شريعته ، ليس غير . اما أولئك المصدقون الذين كانوا فى مكة قبل الفتح : أى قبل أن يستظنوا بشريعة الاسلام . فقد سماهم تعالى مؤمنين لا مسلمين . فى قوله الكريم : « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم .. » ولا إيمان بغير احسان « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » فلا اسلام بغير احسان :

— « بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه » .
« ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن ؟ » .
« ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

العروة الوثقى :

والعروة الوثقى هى حسن ادراك المؤمن لصلته بالله ، بتذكر الميثاق الذى ارتبطت به الروح ، وبالقراءة وبالرجوع اليه باستمرار ، حتى يغدو هذا الميثاق تنبها طبيعيا ينتظم العقل والجوارح جميعا :
« واذا أخذ ربك من بنى آدم من

« فلكم الله ربكم فاعبدوه . افلا تتذكرون ؟ »
 أن الإيمان بوجود الخالق . هو الخطوة الأولى نحو توحيد الخالق بالالوهية ، وعبادته ، وعدم الإشراك به أو النفاق فيه في كل عمل . وجارحة . ومع الانساقس . فكيف السبيل ، إذن . الى التوحيد الخالص ؟

انه هداية من الله عز وجل . تضيء الروح اذا مسك بها صاحبها طريق الهدى ، وأخذ بأسبابه . وأن الله عز وجل ليخاطب خلقه في كل طرفه عين . واصفاءة سمع . وخفقة قلب ، وخطوة قدم . وأنهم ليتلقون نغص هدايته فيها جميعا اذا كانت ارواحهم هناك . ارواحهم التي لا تصفو الا بالذكر . ولا تتألق الا بالمعبادة . وهي عندما تصفو وتتألق تنهياً لتلقى المدد الالهي . والروح عندما تضيء بنور من عند الله . تمد العقل ، فتفتح فيه عين الفهم . وتريه بهذه العين عالم الغيب وعالم الشهادة . وتمد الحواس فتفسر أعماقها . فتتحرك بالله وحده :

« أفرأيت من اتخذ الله هواءً واصله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله افلا تتذكرون . »

« الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى » .

« وما يتذكر الا من ينيب » .
 والله عز وجل ، يخاطب خلقه بآيات الوجود ، وبآيات الشهود ، بالكائنات وبالتجارب ، بالتبصير والبسط ، بالإبلاء والاجتباء ، بالرخمة والعذاب ، فاذا كانت ارواحهم مستيقظة سمعت ، فوعت ، فتذكرت ، فرجعت ، وانابت :

« ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ، ونقص من الثمرات ،

على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً » .
 والنفاق والشرك عرضان يتلبسان الإيمان وحقيقة التوحيد . فيفسدانها ، لذلك كانا سبب العذاب ، فيها خير فيه الإنسان باعتقاده وعمله ، فاختره :

« لا اكراه في الدين . قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله . فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم » .

سسلم الهداية :

وما مهمة الرسل الاولى الا ان يفتحوا مغاليق الحس . ويكسروا أقفال العقل ، لكي يرتد الروح الانساني الى وعيه ، فيرى . ويتذكر :

« واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » .

« سنقرئك فلا تنسى » .
 « قد افلح من تزكى . وذكر اسمه ربه فصلى » .

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

« كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره » .

« أو لا يذكر الإنسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ؟ » .

« ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فاذا هم مبصرون » .

« مالكم من دونه من ولي ولا شفيع ، افلا تتذكرون ؟ » .

« وليعلموا انما هو اله واحد ، وليتذكر اولو الالباب » .

نقيض له شيطاننا فهو له قرين » .
 « ومن يمرض عن ذكر ربه يسلكه
 عذابا صعبا » .
 « ومن اعرض عن ذكرى غان له
 معيشة ضنكا » .
 « فاذا قضيت مناسككم فاذكروا
 الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا » .
 « ولا تطع من اغفلنا قلبه عن
 ذكرنا ، واتبع هواه » .
 « فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
 ولم يرد الا الحياة الدنيا » .

هكذا يعود الغائب :

عندما تلتقى الحواس والعقل
 والفكر ، فى ظلال الروح ، على
 الايمان . هذا الايمان ، بالله عز
 وجل ، يصبح الانسان عبدا لله ،
 ويحشد طاقاته كلها طواعية واختيارا
 وقناعة واملاء فى سبيل الله :
 فالعقل يقرر لصاحبه الفكر الذى
 ارتضاه الله لعبده المؤمن : فكر
 الاسلام عقيدة وشريعة . ويكون فهم
 الشريعة والعمل بها ضرورة لا يتم
 للفرد بغيرها ايمان ولا احسان . ولا
 تتم للمجتمع بسواها حاكمية الله ،
 وسعادة العباد . والعقل يقرر
 لصاحبه المؤمن الفكر المؤمن الذى
 يجعله مستخلفا حقا فى الارض
 يعمرها ويعيشها ويرتقى بها مدركا
 صلته بخالقه وخالقها باستمرار ،
 متصورا غاية العمل والاستخلاف ،
 مبصرا من وراء الحجب مبدأ الامر
 ومعهاده ، فهو بين يديه وفى عينيه
 وفى سمعه قريب منه جد قريب .
 والحواس تصبح مسخرة لله ، ترى
 به ، وتسمع به ، وتدعى به ، حتى
 تلقاه . وتظل الروح الحارس اليقظ ،
 والتنبيه الطبيعى الذى يوقظ الحواس
 اذا نامت ، ويوقم الجسوارح اذا
 زلت ، ويوجه الفكر اذا ضل ،
 ويؤجج نار العزيمة اذا خبت ، ويتلقى

لعلمهم يذكرون » .
 « اولايرون انهم يفتنون فى كل
 عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا
 هم يذكرون ؟ » .
 « واذكروا اذ جعلكم خلفاء » .
 « وما يأتيتهم من ذكر من الرحمن
 محدث الا كانوا عنه معرضين » .
 « ولقد صرفناه فيهم ليعذبوا » .
 « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له
 قلب او الفى السمع وهو شهيد » .
 والقلب هنا هو البصيرة ومستودع
 الهداية ومتلقى الفيض الالهى ، وليس
 العقل . اذ لكل مكلف عقل . وليس
 لكل يكلف قلب الا « لمن اراد ان يذكر
 او اراد شكورا » .
 والذكر طريق الصلة الدائمة
 بالله ، وجسر الهداية منه . ليس
 مجرد حركة لسان ، ولا مجرد تسليم
 عقل . ولا مجرد دلالة فكر . انها هو
 — قبل ذلك ، ومعه . وبعبده — توجه
 بالروح وبالقلب وبالجوارح . ويتقوى
 النفس كلها الى الله :
 — « الذين يذكرون الله قساما
 وقعودا وعلى جنوبهم » .
 « واذكر ربك كثيرا . وسبح
 بالعمى والإبكار » .
 « واذكر اسم ربك وتبتل اليه
 تبتيلا » .
 « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله
 ذكرا كثيرا » .
 « انما يريد الشيطان ان يوقع
 بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر
 والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله » .
 هذا الذكر هو سبيل الطمأنينة .
 وسلم الهداية ، اعده الله لعباده
 الأبرار :
 — « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
 بذكر الله الا بذكر الله تطمئنن
 القلوب » .
 « ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
 ذكر الله » .
 « ومن يعيش عن ذكر الرحمن

فقال : « لكل حق حقيقة . فما حقيقة ايمانك ؟ » . قال : « أسهرت ليلي . واضطأت نهارى ، حتى كأني أنظر الى عرش ربي بارزا . وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها . وأصفي الى أهل النار يتضاعفون فيها » . . . فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « مؤمن نور الله عليه ، ولقد عرفت فالزم » . ثم قال عليه السلام : « من سره أن يرى رجلا شرح الله صدره للإيمان . فليُنظر الى هذا » .

هؤلاء . هم الذين على أيديهم ستتم عودة الغائب . بهم ستكون عودة الغريب . طوبى لهم ، في ايمانهم يلقي الله اقتباسا من ضيائه ، وبفكرهم المستضيء بنور الله يؤوب العصر الى رشاده ، ويسترد ذاكرته المضيعة . بعزماهم التي تستمد من الله جذوتها وتوفيقها يستأنف الاسلام مسيرته : عقيدة ومنهاج فكر وشريعة حياة . فلقد أطل زمانه .

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه . فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزّة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » .

امطار التوفيق اذا همت . ويقسود رحلة الحياة الى خلود مقيم ، في جنات ونعيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يروى عن ربه عز وجل : « انا عند ظن عبدي بي ، وانا معه حين يذكرني . ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا هم خير منهم ، وان تقرب مني شبرا تقربت اليه ذراعا . وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا ، وان اتاني يمشى . اتيتيه هرولة .. » .

وقال عليه وآله الصلاة والسلام : « لو تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر ، لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق » .

وجاء في الحديث القدسي : « ما تقرب الىّ عبدي بشيء أحب الىّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب الى بالنسوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها ، وان سألني لأعطينه . وان استعاذ بي لأعيذنه » .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن مالك : « كيف أصبحت ؟ » .

قال : « أصبحت مؤمنا حقا » .



القرآن وعلم الفلك

حول القرآن الكريم والعلم

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

يشمل العلوم الأساسية : الطبيعيه التى تتناول دراسة الكون وما فيه من مادة وطاقة ، وعلوم الحياة التى تتوافر على دراسة الاحياء وسلوكها . وهناك أيضا العلوم التطبيقية التى تتضمن مسائل عملية عديدة قوامها استخدام واستغلال ما أودع فى الكون من طاقات و ثروات لفائدة البشر . وفى هذا العنصر وصل الانسان الى مرتبة مرموقة من العلم حين سخر الطاقة الذرية وهى سر اقمار الطبيعة ممثلة فى الشمس والنجوم ، واستخدم المحرك الصاروخى فحصل به على السرعات الفلكية التى تتيح بها اجسام السماء .

وأساس العلم الاختبار والقياس باستخدام الحواس ، ثم معالجة

١ - شاعت رحمة الله بخلقه ان يسلك اعجب الطرق واروعها لتنفيذ ارادته فى كل شيء . وهى طسرق أبعد ما تكون عن معرفة الأفراد العاديين . وليس فى وسعنا الا ان ندرس ونقدر ونؤمن . ومن هنا جاءت مزايا العلم، وتجلت آيات الخالق فى عصر العلم .
٢ - استهد القرآن الكريم حكمه وامثاله من الكون فكان من الطبيعى ان يلتقى العلم الذى يبصرنا بأسرار هذا الكون مع القرآن الذى يحدثنا عن بدائعه وآياته .

تعريف العلم :

العلم يعنى تلمس الحقائق فى عالم الحس ، ومن ثم استنباط قوانين سليمة عامة التطبيق . وهو

١ - شمول النظام فى الكون .
ولكن المعرفة الدينية بخلاف المعلم
تعتبر هذا النظام شاملا كذلك للناس
ومعترك حياتهم .

٢ - ضرورة التثبت وعدم الاعتماد
على مجرد التخمين . فالإيمان يجب
أن يتم عن بيئة ، لأن كل ما فى الكون
آيات تنطق بوجود الخالق المدبر ،
ورسالات السماء فيها من الآيات
ما يحل العقل على التصديق بها
والتسليم لها . وفى مثل هذه
المعاني يقول القرآن الكريم :

وفى سورة فصلت (٥٣) :
« بل هو آيات بينات فى صدور الذين
أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا
الظالمون » .

فى سورة يونس (٣٦) : « وما
يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى
عن الحق شيئا إن الله عليهم بما
يفعلون » .

وفى سورة العنكبوت (٤٩) :
« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »
ويشترك العلم والدين معا فى
ضرورة التمسك بالمنهج ، وفى الأمانة
والمثابرة ، والتواضع الى غير ذلك
من مكارم الاخلاق ، ولكن الهدف
يختلف فإن العلم يقف عند حد
تقرير (الحقائق) ، أما الدين فيستمر
حتى يصل الى الغاية . هذا كما أن
المعرفة الدينية لا تعتمد على مجرد
العقل ، بل ان من مصادرها
الاحساس الروحى ، أو الشعور
بالقلب . وعلى أية حال فهناك من
الامور الدينية ما قد لا يعيه العقل
مثل الارواح والملائكة والجن ، ولكن
يدرك ذلك القلب بالاحساس الصادق

نتائج ذلك الاختبار الحسى بالقوى
العقلية . اما عالم ما وراء الحس
فلا دخل للعلم به . اللهم الا ما يمكن
اخضاعه منه الى مستوى الحس
بواسطة آلات ومعدات تتأثر بها هو
غير محسوس مباشرة . مثل الالواح
الحساسة التى تستجيب لتأثيرات
الاشعة فوق البنفسجية التى لا تدركها
الاعين ، ومثل الابرة المغناطيسية أو
(البوصلة) التى تستخدم فى التعرف
على اتجاهات خطوط القسوى
المغناطيسية فى أى مجال مغناطيسى .

وليس منا من ينكر تلك الالهامات
المناجئة أو ذلك الإيحاء الخفى الذى
يقبل الينا احيانا من عالم ما قد
نسميه عالم الارواح أو عالم ما وراء
المادة ، ومفكرته أعيق من عالم ما وراء
الحس ، اذ لا تستجيب له حتى
أجهزنا ومعدنا . ولكن تستقبل
قلوبنا الواعية اشاراته الموجهة
الينا . ولعل خير من يحدثنا من بعض
تلك الالهامات الصادقة العلية
والمستكشفون والفلاسفة ، ثم
المؤمنون المتصلون .

والدين هو الذى حدثنا عن عالم
ما وراء المادة ، وأكد الإيمان (بالخالق)
مصدر هذا الكون ومرجه . وبيدنا
الدين كذلك بطاقات روحية عظمية
لا تعرف الهزيمة . والإيمان شعور
طبيعى أو غمضى لأنه ميثاق الخلق :
« وأخذ ربك من بنى آدم من
ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على
أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا
أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
غافلين » . والدين الى جانب هذا
كله حصيلة أسس الاخلاق وارفع
المعاملات بين الافراد والجماعات .
وتشترك أسس المعرفة الدينية مع
أسس العلم فى :

.. والمؤمنون هم وحدهم الذين يستطيعون الاغاضة فى الحديث حول هذا الموضوع .

ولقد نجم عن تعرف الناس على بعض معالم عالم ما وراء المادة عن طريق الدين ان راحت طائفة منهم تجرى محاولات الاتصال بمن فى ذلك العالم بطريقة يسمونها (تحضير الارواح) . ونحن لا نستطيع ان نطلق على تلك المحاولات اسم

(التجارب) لاختلافها فى جوهرها عن المؤلف فى التجارب العلمية ولعدم امكان تمهيم اجرائها . وقد فهم خطأ أن بعض جامعات الغرب قد اقرت دراسات (علم الارواح) ، ولكن الحقيقة ان ما وافقت عليه هو دراسات (علم النفس) على غرار ما هو قائم فى بعض جامعاتنا .

واغلب الظن اذا سلطنا ببعض تلك الاتصالات ثم محصناها نجد انها تتم مع عالم غير عادى حدثنا عنه الاديان يسمى عالم الجن . فقد جاء مثلا فى سورة الجن (٦) :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » .

وثمة ناحية اخرى نحواها اننا للأسف الشديد نجد فى تراثنا الاسلامى خلطا بين عالمي المادة وما وراء المادة ، اذ افترض فريق من السلف ان الملائكة تسيطر على كل ما فى الكون حتى الظواهر الطبيعية ، بدلا من القوانين والنظم الثابتة التى فرضها الخالق وراح يكشف عنها العلم تباعا . فهذا ملاك البحر مثلا يضع ابهامه فى اقصى بحر الصين

فيفور له الماء ويكون المد . ثم يرفع ابهامه فيطلب الماء موضعه ويكون الجزر . وبطبيعة الحال لا يعتبر مثل هذا الخلط والوهم من الدين فى شىء . نقد جعل الله لكل شىء سببا .

فلسفة علمية :

نتبين اذا ان العلم وقف حتى الآن عند حد الكشف عن العلاقات الثابتة بين الاشياء ، واستفسال ما فى الكون من طاقات ، اما الدين فيذهب الى ابعد من ذلك ، اذ يبحث فى الغاية من خلق الاشياء والانسان ، وربطها بالخالق .

ولهذا لا بد من ان نعى بدراسة العلوم دراسة واعية بحيث تصل الى الاسباب ، ولا تقتصر على مجرد تقرير الحقيقة . وسنضرب لذلك مثلا بدراسة الماء .

وهنا قد يدعى البعض انسه لا يمكن ربط العلوم بأية غاية أخرى تخرجها عن جوهرها . ولضمان سلامة المنهج العلمى يمكن ان تمتد الدراسات والبحوث العلمية الى دراسات وبحوث أخرى (فلسفية) ، تجمع شتات المعارف . وتوجد بينها رابطة متينة متماسكة توضح الغاية وتبين المقصد بطريقة تبقى على جوهر العلم وعلى قدرات الانسان الروحية . وعلى هذا النحو نجد ان من واجبا تحديد أسس فلسفية علمية تدعم الدين وتقوم الاخلاق ، وتعيد الثقة الى النفوس وتوفر لها الطمأنينة . وان من يريد أن يعرف مدى انتشار القلق والاباحية فى الخارج حيث طغت المعرفة العقلية وحدها على كل شىء عليه أن يلقي نظـرة على

ما تفننوا فيه من السوان المهدئات
والمنومات والخمور .. و ..

وبديهي أن أول اسم تلك الفلسفة
هو الايمان بالله . والتصديق
برسالته . فذلك هى نقطة الانطلاق
التي تبداً بأكبر القوى الدافعة الى
الخير والسعادة والرداعة عن الشر
والشقاء .

وعلينا بعد ذلك أن نضع اطاراً
نحدد داخله موضوع العلم
وفلسفتها . لنألا تصبح عقولنا سجيئة
الانتاج العلمى كما حدث فى الخارج .
حيث طغت الكشوف العلمية بمظهرها
الغلاب على تفكير الناس ونسيت
عقولهم نقطة البداية التي انطلقت
منها . وهى الايمان بالله الذى خلق
العقل وجعله قادراً على التأمل
والكشف . ويقودنا ذلك الى وجوب
ايجاد دراسات وقراءات أو مطالعات
شاملة تجمع بين الدين والعلم
بلغة العصر ، من غير تعقيدات
فقهية . فى مراحل التعليم المختلفة .
وتحملنا الفلسفة العلمية على الاتجاه
دائماً نحو الغاية السامية التي من
أجلها كان هذا الوجود وقام هذا
النظام ، ولا يقودنا الى ذلك بطريقة
ترتاح لها النفس ويقتنع بها العقل
سوى الدين الذى ينادى بأن كل ذلك
من مظاهر الألوهية ، ولهذا نقول :
(الفلسفة فوق العلم ، والدين فوق
الفلسفة) .

ولكن كلما اتسعت آفاق معرفتنا
العلمية ، كلما زادت حصيلة القواعد
والنظم التي يسير عليها الكون فتضيق
ساحة المجهول ، ونجد أنه لا مناص
من التسليم بوجود المبدع الخالق .
وهكذا يؤيد العلم الدين ويؤازره .

ولما كان هذا هو الوضع الطبيعي
للعلم بالنسبة الى الدين . نجد قديماً
أنه عندما ضل البشر على الأرض
بجهلهم كان لزاماً أن يكلم الله الناس
على السنة الرسل من آن الى آخره .
وهكذا فعل .

فلما صار عصر العلم على الابواب
نزلت آخر رسالات السماء الى أهل
الأرض ممثلة فى القرآن الكريم الذى
يخاطب العقول الراجحة والقلوب
المتفتحة . ويقنع بالحجة الدامغة
والمنطق العلمى السليم .

ولهذا أيضاً نقول ان القرآن
معجزة خالدة . ولا يمكن أن تضل
معجزة على الأرض الا اذا كانت
على هيئة كتاب لا يقف اعجازه عن
عصر معين . ولا يحد بنقطة
بالبات .

الخالق القدير :

وليس وجود الله عند الكثيرين .
امثال أرسطو ، مسألة غيبية يختلف
فيها بين الإثبات والنفي ، ولكن
حقيقة عقلية على غرار المسلمات أو
البديهيات التي نعرفها . ويرى فريق
من المؤمنين أن الله يشهد على
الاشياء وليست الاشياء هى التي
تشهد عليه ، لان العقل والوعى
لا يستقيمان الا على الايمان بالله .
وهذا الايمان هو خير ما تفسر به
الخلقة . وعلى الرغم من ذلك
سوف نسوق هنا ملخص بعض
البراهين الرياضية على وجود الله .

فالذى لا جدال فيه ان الكون يمر
الآن بمرحلة من النظام المحكم . إذ

درس من الماء :

ليس منا من لا يعرف ان الماء يكون اكبر نسبة على الإطلاق في بناء الأجسام الحية . ومن الحقائق المعروفة ان الماء يغطى نحو أربعة أخماس سطح الأرض ، كما أنه في حدود درجات الحرارة التي تتوفر على الأرض ، (أقلها ٧٠ درجة تحت الصفر في أواسط سيبيريا في الشتاء وأعلىها ٥٥ درجة حول خط الاستواء الحراري في الصيف) ، يأخذ دون غيره من المواد صوراً ثلاثة هي : الصلبة والسيولة ، وصورة الغاز أو البخار . ومن خواص الماء الطبيعية ان له أكبر حرارة نوعية على الإطلاق ، بمعنى انه عامل ملطف للجو لا يستجيب بسهولة للتسخين أو التبريد . أما بخار الماء

فهو أخف من الهواء ولهذا يصعد في الجو ليكون السحب ثم المطر الذي هو مصدر الماء العذب على الأرض . وبالإضافة الى كل هذا نجد أن الماء الصلب أو الثلج أخف من الماء السائل ويطفو فوق سطحه ، مخالفاً بذلك القاعدة العامة التي تقول ان الانكماش بالتبريد يتطلب أن تكون المادة في حالة الصلابة أكبر كثافة منها في حالة السيولة .

والحق أن لكل صفة من هذه الصفات كلها صلة وثيقة بالحياة على الأرض وبقائها يانعة مزدهرة . وهي ان دلت على شيء فانما تدل على منتهى التدبير والإحكام من لدن خالق عظيم .

فكمية الماء في الأرض لم تكن جزافاً وانما بقدر معلوم لحفظ التوازن الحراري فيها وفي جوها على مسر السنين ، أو على حد تعبيرنا الهندسي

يخضع كل ما فيه لقوانين ثابتة لا تتغير . ونحن اذا سلطنا جسداً بإمكان حدوث هذا النظام وتوفره ولو مرة واحدة بالصدفة ، لا يستطيع حساب الاحتمال الرياضي ان يعتبر استمرار هذا النظام ضرباً من ضروب الصدفة . ولكن بتدبير خالق قدير .

ومن المبعث أن نقول إن الكون جاء هكذا من تلقاء نفسه ، فذلك قول مردود ، ومن اللازم أن يوجد له خالق مدبر ، ولكن علينا أن نسبغ على الخالق صفات تخالف صفات المخلوق فنقول مثلاً ان من المسلمات أن يكون الخالق أزلياً موجوداً بذاته منذ القدم وهو في ذلك يخالف الحوادث ، ويختلف عن الاشیاء في صفاتها ، أو « ليس كمثل شيء » .

والبراهين العلمية على وجود الله كثيرة ، إذ انه يتجلى في كل ركن من أركان هذا الوجود بما صنع وما أبدع ، ولكن لا يملك الجاحد أو الكافر أي دليل يسوقه لنا على عدم وجود الله تعالى سوى أننا لا نراه رأي العين . وهنا يحق لنا مرة أخرى أن نتساءل قائلين : هل نحن نرى بأعيننا كل ما يحيط بنا من عوالم حتى ما يقع منها وراء الحس؟ كلا بطبيعة الحال . ولكن على الرغم من ذلك نقول ان الله تعالى يمكن أن يرى بالقلب الذي يتسع وحده لجلال قدره وعظم شأنه سبحانه وتعالى ، إلا أن لهذه المشاهدة القلبية النورية شروط من درجات الايمان الكامل وطهارة النفس يجب أن تتوفر في المشاهد ، تماماً كما تكون لمقابلة العظماء والإمراء من الناس شروط تملئ واحتياطات تتخذ رغم ما بين الحالتين من فروق عظمى بطبيعة الحال .

جعلها مكيفة داخل حدود معينة .
فولوا اتساع رقعة الماء لسادت على
الأرض فروع عظمى من درجات
الحرارة تفنى معها الحياة . كما
هو الحال على القمر القريب منا مثلا
.. وعلياء البحار وحسدهم الذين
يسفون لنا مهمة البحار والمحيطات
والنباتات البحرية العظمى فى توزيع
الحرارة المكتسبة من الشمس توزيعا
عادلا بين أرجاء الأرض المختلفة .

ونظرا لان الثلج يطفو على سطح
البحر فهو عندما يتدفق من المناطق
القطبية ويندفع الى المحيطات على
هيئة جبال الثلج الهائلة يذوب على
التدرج تحت تأثير الاشعاع الشمسى
المباشر ، بدلا من أن يغوص فى القاع
المظلم البارد ويظل على حاله ، وبذلك
تتراكم الطوج تدريجيا على مر السنين
حتى يتم تجمد بحار الأرض ومحيطاتها
وعندها تفنى الحياة فى البحر ، كما
يقل البخر أو ينعدم فينشع المطر
وتفنى الحياة على اليابسة كذلك .

فأى تدبير أروع من تدبير هذا
الذى صنع الماء وأسبغ عليه تلك
الصفات ، مصداقا لقول الله فى
سورة الانبياء (٣٠) : « وجعلنا من
الماء كل شيء حتى ؟ » انها ولا شك
كلمة الله الذى يقول فى سورة
النحل (٤٠) :
« انما قولنا لشيء اذا اردناه أن
نقول له كن فيكون » .

مقياس العلم :

وربما يبدو خطيرا ، كما يظن
البعض وليست منهم ، اتحام الدين
فى العلم ، اذ قد يظهر الدين فى
موقف ضعيف لا يحسد عليه عندما

نقاس الحقائق العلمية الواردة فيه
بنفس مقياس العلم الحديث وبالمعنى
الكامل لتلك الكلمة . فان المتعلم
الذى أعطى لنفسه فرصة التفكير
الحر والانطلاق الذهنى قد يجد ما فهم
عن الدين قاصرا فى هذا المجال .
بينما هو يشعر بقوة العلم . ولنفس
هذا السبب ولأسباب أخرى عمدت
بعض الشعوب الى فصل العلم عن
الدين بحجة انها بذلك تتيج لنفسها
فرصة الانطلاق والتقدم . ولكن هذا
لايمكن ان ينطبق على القرآن وتعاليمه
تلك التى فجرت أعرق حضارات أمم
الأرض وأكثرها عدالة وازدهر بها
العلم وأينع ، بل لقد كانت أولى
الآيات على الاطلاق طلبا للعلم والتعليم
حين نزل قوله تعالى فى سورة
العلق :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق
الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم .
الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم
يعلم » .

والحق يقال ، ان الذى نزل القرآن
كمعجزة خالدة يخاطب أهل هذا
العصر بلغتهم ، أعنى لغة العلم ،
ولكن لزم فى نفس الوقت أن تحتفظ
بجوهر الرسالة ، فلا يجعل منها
مرجعا علميا على النحو الذى نعرفه ،
وانما يتخذ من الحقائق العلمية
أساسا للوصول اليه والتعرف عليه .

وعلى هذا النحو نجد أن فى
القرآن كثيرا من الآيات التى تكشف
الحقائق العلمية ، بل وتسبق ركب
العلم فى غروعه المختلفة . وفى مجال
علوم الفضاء مثلا يمكن أن نقف عند
العديد من الآيات مثل قوله تعالى
فى سورة الرحمن (٣٤ ، ٣٥) :

الأخرى . ومثل قوله تعالى فى سورة
الأنبياء (٤) « قال ربى يعلم القول
فى السماء والأرض وهو السميع
العليم » .

إشارة الى ان العقل البشرى ليس
وحده فى هذا الوجود . لأن الكلام هو
الحد الفاصل بين الكائن الذى يعقل
والكائن الذى لا يعقل ، أو هو وليد
الفكر والعقل ، ومثل قوله تعالى فى
سورة الشورى (٢٩) :

« ومن آياته خلق السموات
والأرض وما بث فيها من دابة وهو
على جميعهم إذ يشاء قدير » .

وقد يكون هذا الجمع بسفن
الفضاء ، أو بواسطة اللاسلكى على
متن أمواج الأثير . كما يحاول العلماء
فى سورة الحجر (١٤) :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء
فظلوا فيه يعرجون » .

إشارة الى أن السبح فى الفضاء
يكون فى مسارات منحنية أو متعرجة
.. ولقد أطلق القرآن على أسفار
الفضاء كلها اسم (المعراج) ، ولا
يعرف الفضاء الكونى كما تعلم الخط
المستقيم ، ومثل قوله تعالى فى سورة
المؤمنين (٧١) :

« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت
السموات والأرض ومن فىهن » .

إشارة الى أن الخير والشر
يوجدان أيضا على غير الأرض ، وهو
أمر طبيعى ، فالهوى يلزم نشوء
العقل الذى يميز بين الخير والشر
ويفرق بين الخبيث والطيب .

« يا معشر الجن والإنس ان
استطعتم ان تغزوا من أقططار
السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون
الا بسلطان . غياى آلا عريكما تكذبان .
يرسل عليكم ثوائف من نار ونحاس
فلا تنتصران » .

إشارة الى سلطان العسلم الذى
استخدمه الإنسان فى هذا العصر
ليسبح فى الفضاء ويغلت من قبضة
جذب الأرض ، وكذلك الى أهوال
الفضاء ممثلة فى النار التى لا دخان
لها أو الأشعة الكونية التى ترسلها
الشمس ولا تستقيم معها الحياة .
مثل قوله تعالى فى سور الجن (٨) :

« وانا لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهباً » .

إشارة الى الشهب التى تعترض
سبيل سفن الفضاء . ومثل قوله
تعالى فى سورة الحديد (٤) :

« يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وهو معكم أينما كنتم » .

إى أن الله تعالى ليس له مكان
معين ، فلا تتوقع رؤيته بالسبح فى
الفضاء ، كما يظن البعض إما عن
جهل أو سوء نية . ومثل قوله تعالى
فى سورة النحل (٤٩) :

« ولله يسجد ما فى السموات وما
فى الأرض من دابة والملائكة وهم
لا يستكبرون » .

إشارة الى وجود احياء تدب على
بعض الكواكب الأخرى التى يعج بها
الكون ضمن مجموعات الشهبوس

نظريّة

بين الشريعة الإسلامية

للإسناد محمود مهدي الأسانبولي

تشغل قضية إعدام قاتل الممد علماء القانون والاجتماع ، نظرا لخطورتها وقد انقسموا الى فريقين متنازعين : فريق يقول باعدامه ، وفريق يقول بمنع هذا الإعدام .

وقد تركوا البشرية في حيرة واضطراب ، لأنهم هم أنفسهم في حيرة واضطراب ، لأن البشرية أعجز من أن يضعوا القوانين ، وإنما يضعها خالقهم ، كما وضع القوانين المادية الطبيعية . وسيبقى البشر في شقاء من مخالفة القوانين الإلهية كما هم يشقون إذا تركوا القوانين الطبيعية ، فلا بد لهم من الخضوع لها حتى يتسنى لهم البقاء والرقى .

وقد أدلى كل من هذين الفريقين بحجج وأدلة نذكرها فيما يلي ثم نعبها بحكم الشريعة الإسلامية في هذا الموضوع الخطير .

انصار نظرية الغاء الإعدام

إن الذين يقولون بعدم الشرعية يحتجون بأن ليس من حق الهيئة الاجتماعية أن تهرق روح إنسان وبه الله الحياة ولله وحده الحق أن يأخذها . واحتجوا أيضا بأن عقوبة الإعدام هي عقوبة خطيرة لأن الضرر الذي ينتج عنها غير ممكن تلافيه إذا ما نفذت في المحكوم عليه ثم بعد ذلك ثبت خطأ القاضي وظهرت براءته كما حدث فعلا في كثير من القضايا ، فمن يسترد عندئذ حياة البريء .

الإعدام

والقوانين الوضعية

لا سيما وان قناعة القضاة هي نسبية واختلاف الراى بين قضاة الدرجات المختلفة شائع بكثرة . وقالوا أيضا بأن هذه العقوبة جائرة ولا تتناسب مع الجريمة مهما كانت فظيعة . فضلا عن انها بشعة تشمئز منها النفوس . وقالوا كذلك بأنها لا مائدة جذرية لها لأن وجودها في التشريع لم يردع المجرمين عن ارتكاب الجرائم ، ويستدلون على ذلك بأن نسبة الجرائم المعاقب عليها بالإعدام لم تقل في البلاد التي لا تزال قوانينها تقرر عقوبة الإعدام ولم تزد نسبة هذه الجرائم في البلاد التي ألغتها .

ويقول أصحاب هذه النظرية إن المجرم مريض ومن واجب المجتمع أن يداويه حتى يشفى تماما لا أن ينتقم منه .

وقد عبر عن هذا الاتجاه صاحب هذه النظرية الدكتور (BALL) في كتابه فيزيولوجية الدماغ وهو أستاذ في باريس في أوائل القرن التاسع عشر بقوله : « إن الميل السريع الى السرقة ثمرة فعالية زائدة لعاطفة حب التملك القوية » .

انصار نظرية تنفيذ الإعدام

أما القائلون بشرعية هذه العقوبة فيجيبون عن هذه الحجج بقولهم :
١ - إن من حق الهيئة الاجتماعية فرض هذه العقوبة لأنه إذا كان المجتمع لم

يعطى حق الحياة فهو لم يعط حق الحرية لأحد فكيف يجازى له سجن الناس ومنعهم من الحرية ، فضلا عن أن الإنسان له حق الحياة كما له حق الحرية . فالاعتراض إذن على شرعية الإعدام يفضى الى الاعتراض على شرعية كل العقوبات التى تمنع الحرية مع الاعتراف بأن الحياة هى أثمن من الحرية .

٢ - إذا كانت عقوبة الإعدام هى خطرة فى حال خطأ القاضى فعقوبة الحبس فى هذه الحالة هى جائرة أيضا وتؤثر فى صحة الفرد وفى حياته بصورة لا يمكن معها تلافى الضرر .

٣ - إذا كانت عقوبة الإعدام لم تخفف من الإجرام لدى كبار المجرمين فهى ولا شك خففت كثيرا من عدد المجرمين وهؤلاء هم أكثر .

٤ - إن الاعتراض القائم على عدم تناسب هذه العقوبة مع الجريمة يصح أيضا بشأن كل عقوبة لأن تحقيق التناسب التام بين العقوبة والجريمة أمر غير مستطاع فتقدير الإنسان للأمور نسبى دائما .

٥ - إن خوف المجرمين من عقوبة الإعدام هو رادع لهم وله اثره .

٦ - إن بلاء العقوبات الطويلة المدة أخطر وأوقع من عقوبة الموت على قمر عذابها ومن الطرافة أن نذكر أن النظرية الأولى تمثل نظرية ما يسمى بالانجيسل والنظرية الثانية تمثل ما يسمى بالتوراة مما سنرى تفصيله .

وقد رأينا فى كل من هاتين النظريتين السابقتين محاسن ومساوى ذكرها انصارها وخصومها فلا داعى لإعادتها .

هذا - وأن النظرية القائلة بإلغاء الإعدام علاوة على مساوئها التى ذكرتها حين الكلام على النظرية الاسلامية فانها خاطئة من نواح أخرى .

الأولى - انها قد تؤدي الى زيادة عدد الجرائم فان نظام إصلاح المجرمين لا يرضى ذوى القتل ، فيثارون له مما قد يؤدي الى زيادة عدد الجرائم .

الثانية - أن هذه النظرية تميل الى المدرسة الإيطالية القائلة بأن الجريمة هى نتاج طبيعى محض ، وأنه ليس ثمة موضع للتحدث عن حرية مزعومة ننسبها للمجرم ، وقد دعا (لبروزو) الذى يتزعم هذه المدرسة الى دراسة السمات الخلقية (الجسمية) والنفسية المميزة للمجرمين . (١)

وهذه النظرية جبرية رهيبة تدعو الى عدم معاقبة المجرم بالكلية . قال (لبروزو) : « المجرم ولد مجرما » . ولا يخفى ما فى ذلك من خطر على المجتمع وتهديد لسلامة أفراده ، وقد راح أنصار هذه المدرسة يطالبون بتكليف العقوبة مع الطبيعة النفسية (السيكولوجية) للمجرم وكل ذلك لتببيع الغضبية وإغوائه من العقوبة . وهى مخالفة لجميع الشرائع الإلهية والأنظمة الوضعية .

وقد جاء العالم الإنكليزى (كورنغ) مقام بدراسة حوالى ثلاثة آلاف سجين من نزل السجون بانجلترا خلال ثمان سنوات متواليات وخلص من هذه الدراسة الى أنه ليس ثمة طراز جسمى خاص يميز المجرم ، بليل أن النتائج الإحصائية للأقيسة التى أجريت على المجرمين أظهرتنا على أن الفارق بين الأقيسة الجسمية لدى كل من طلبة كمبرج أو أكسفورد لا يختلف عن الفارق الموجود بين المجرمين وغيرهم من سواد الناس (٢) .

ومهما كان من شأن هذه النظرية ، فان الاسلام لا يهمل الحالة النفسية للمجرم ، فان كان مصابا بالجنون أو اضطراب الغدد الصماء وغيرها من الأمراض النفسية التى تنقد المجرم عقله وأرادته وشخصيته فانه يعفى من العقوبة ولكنه يحجر عليه حتى يشفى كما يراعى التشريع الإسلامى فى ظروف المجرم وملابسات

خبريته . فلا يعاقب السارق اذا كان جائعا مضطرا ولم تؤمن له الدولة سبيل العمل ، او اجاعه رب عمله ، فيعاقب الاسلام المسبب فى هذه الحال .
ولا شك ان هذه النظرية تقول بإلغاء الإعدام والاستعاضة عنه بسجون المستشفيات حتى يشفى ميماء اذا كان مصابا بالجنون او غيره مما يفقد عقله وإرادته .

وإننى أبعتها صرخة مدوية : إن السجون قد افلست فى العالم علالة على ما سببته من إيجاد المجرمين المحترفين الذين يتعلمون دروس الجريمة من زملائهم فى السجن . ومما يؤسف له أن انصار السجون لم يفكروا مطلقا بزوجة السجين وأولاده الذين سيشردون غالبا بسبب اعتقال وليهم .
حقا إن قضية السجن قضية شائكة جدا ، ربما كنت أول من أسميته (قصر الضيافة) يكلف الأمة النفقات الباهظة سواء فى إطعام السجناء وسواء فى حراستهم وسواء فى إيوائهم .

ولا يخفى أن هناك كثيرا من النفوس التى تألف مثل هذه الحياة التى هى أشبه بخلوات الصوفية ينعم بها السجناء كما ينعم الصوفية ، ولا شك أن السجون تمتاز على هذه الخلوات بكونها مشتركة ومضينة ولا تسبب الجنون والانحراف .

والغريب من أمر السجن أنه اذا نظم ونفذت الإجراءات التحسينية أصبح مكانا مرغوبا فيه وقصرا للضيافة حقا مما يشجع المجرمين على ارتكاب الجرائم .
وإذا أهل كان مصدرا لانتشار الأوبئة والأمراض والمفاسد الخلقية بجميع أنواعها ، وفى الحقيقة فإن السجون كثيرا ما كانت تزيد المجرمين صلابة ، فلم يكونوا يخرجون من السجن إلا لى يعاودوا ارتكاب جرائمهم ، مدفوعين الى ذلك برغبة حادة فى الثأر من المجتمع ، هذا الى أن اختلاط صفار المجرمين بغيرهم من المجرمين الخطرين كثيرا ما كان يجعل من « السجن نفسه » مدرسة لتلقى فنون الإجرام . فلم يكن المجرم الصغير يغادر السجن إلا وقد أصبح مجرما محترفا يجيد من أساليب الجريمة ما لم يكن له به عهد ، قبل أن تطأ قدماء أرض السجن .

ومن جهة أخرى فإن الأساليب السائدة فى معاملة المجرمين قلما تنجح فى ردع المجرمين والقضاء على أسباب الجرائم ، بل هى قد تدفع بهم نحو الانفجار والتمرد والإمعان فى تحدى القانون .

وقد ثبت بالفعل أن السجن عاجز عن توليد مشاعر الحب والتعاطف والصبر والطمانية النفسية والرغبة فى العمل واستعادة مكانة الذات . وهى المشاعر الضرورية لإعادة التكيف الى نفس المجرم .

وفضلا عن ذلك ، فإننا حينما نترك المجرم نهبا لذكريات الماضى ، دون أن ننجح فى شغل باله بالأفكار السلبية والمبادئ القوية ، فإننا نزيد من اختلال توازنه النفسى بدلا من أن نعيد الى شخصيته تنظيمها النفسى ونوافقها الاجتماعى ، وهذا ما حدا بالكثيرين الى القول بفشل الأنظمة القديمة للعقوبة (أى أنظمة السجون) نظرا لأنها لم تكن تهتم جديا بإعادة المجرمين الى حظيرة القانون ، والعمل على تقويم شخصياتهم حتى يتمكنوا من العودة الى الحياة الاجتماعية العادية فى ظل احترام العادات والتقاليد والقانون ...

إن أغلب المجتمعات لا زالت تميز الخارجين من السجن عن غيرهم من سواد الناس ، فلا يكون من شأن هذا التمييز نفسه سوى أن يتسبب فى عجز السجناء عن العودة الى حياة التكيف مع الجماعة والتعامل مع غيرهم من المواطنين ،

حتى ولو صحت عزيمتهم على العدول نهائيا عن حياة الجريمة ، ولا شك أنه حينما يشعر المجرم بأن المجتمع ليس على استعداد لتقبله أو أن ماضيه يقف حائلا بينه وبين الاندماج في الجماعة من جديد ، فانه قد يندفع الى مواصلة سلوكه الإجرامى بدلا من أن يمدد الى أخذ نفسه بالمعايير الجماعية . ولما كانت مواصلة حياة الإجرام هي أيسر على المجرم من السعى الجاهد في سبيل اكتساب عادات توافقية جديدة فإن عددا غير قليل من المجرمين لا يكاد يجد صعوبة في معاودة الانتشاء الى جماعات المجرمين المحترفين التي دأب على الاختلاف اليها .

لهذا كله نرى الشريعة الإسلامية لا تلجأ الى السجن إلا في حالات نادرة وقتية كضمان سلامة التحقيق أو إظهار المجرم بالشهير به ، فقد وضعت لسلك جريمة عقوبتها الزاجرة ، بحسب نوع العمل الذي اقترعه المجرم ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » المائدة/ ٥٥ .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى ببعض المفسدين ويربطهم بإحدى سواري المسجد أمام الناس . فحينذا لو تعمم هذه العقوبة في بعض جرائم التعذيب فربط المظالمون في أعمدة الكهرباء في بعض الشوارع أمام انتظار الناس فإن ساعات من هذه العملية تعدل شهرا أو شهورا في السجن المعروفة ويكون فيها المخالف عبرة بليغة ورهبة لمن يعتبر ، وهي لا تكلف الأمة شيئا يذكر .

والغريب أن بعض ادعاء القانون يحملون على هذا البدا أو مثله قطع يد السارق بانه قاس ، دون أن يوجدوا ما يقوم مقامه ، وقد أفلست جميع حلولهم وسببوا انتشار الجرائم في العالم بصورة واسعة ومرعبة حتى بات الإنسان لا يأمن على حياته وعلى أولاده من القتل والخطف ، وعلى أمواله من السلب والنهب في أرقى عواصم العالم كالولايات المتحدة مثلا .

وقد طبق هذا القانون الإلهي في المملكة العربية السعودية في العصر الحديث فأعطى النتائج ونشر الأمن والسلام مما يحسدها عليه أرقى وأعظم دول العالم . وقد نسي هؤلاء الأدعياء المغرورون أن العقوبات الإسلامية تحمي حتى المجرم نفسه فلا يتجاسر على ارتكاب جريمته لشدةها ، قال تعالى : « ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب » .

وتدبيرا استطاع التشريع الإسلامى محو الجريمة أو الإقلال منها لدرجة الندرة ، ومن أهم ما ينبغي الإشارة اليه أن هذه العقوبات ليست إسلامية فقط ، بل قد سبقتها اليها شريعة التوراة وهي شريعة اليهود والنصارى حتى يومنا هذا .

وقد ساعد على تحقيق هذا السلام ما كان يتحلى به المسلم من عقيدة عظيمة جعلت من المجرم يأتى ويعترف بجريمته مهما كانت قسوتها ، لينجو من عذاب الله يوم القيامة .

بينما اليوم قد عجزت الدول عن اكتشاف الجرائم على الرغم من رقى الوسائل الحديثة حتى راحت تستعين بالكلاب (البوليسية) ...

نظرية الشريعة الإسلامية

لقد اشتملت هذه النظرية على محاسن كل من النظريتين وخلت من مساوئهما

فى تنسيق عجيب وحل نفسانى (سيكولوجى) دقيق . وهذه مزية التشريع الإسلامى العظيم الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حديد . « فمن أتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة شتى » . طه ١٢٣ و ١٢٤ .

وهذه النظرية تتلخص فى أن قاتل العمد يقتل قتال تعالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » . الاسراء ٣٣ .

والاسلام دين الحياة ودين السلام ، فقتل النفس عنده كبيرة تلى الشرك بالله ، فالحل وأهـب الحياة ، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفى الحدود التى يرسمها . وكل نفس هى حرم لا يمس ، وحرام إلا بالحق . وهذا الحق الذى يبيع قتل النفس محددا لا غوض فيه ، وليس متروكا للرأى ولا متأثرا بالهوى . وقد جاء فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحد دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزانى المحسن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

فأما الأولى فهى القصاص العادل الذى إن قتل نفسا فقد ضمن الحياة لنفوس « ولكم فى القصاص حياة » . حياة يكف يد الذين يهمون بالاعتداء على النفس والقصاص ينظروهم فيردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء . وحياة بكف يد أصحاب الدم أن تتور نفوسهم فيثأروا ولا يقفون عند القاتل بل يمشون فى النار ويتبادلون القتل فلا يقف هذا الفريق وذاك حتى تسيل دماء ودماء . وحياة يأمن كل فرد على شخصه وأطمئناته الى عدالة القصاص فينتطق آمنا يعمل وينتج فإذا الأمة كلها فى حياة .

وأما الثانية فهى دفع للفساد القاتل فى انتشار الفاحشة ، وهى لون من القتل على النحو الذى بيناه .

وأما الثالثة فهى دفع للفساد الروحى الذى يشيع الفوضى فى الجماعة ، ويهدد أمنها ونظامها الذى اختاره الله لها ، ويسلبها الى الفرقة القاتلة . والتارك لدينه المفارق للجماعة إنها يقتل لأنه اختار الإسلام لم يجبر عليه ، ودخل فى جسم الجماعة المسلمة وأطلع على أسرارها ، فخرجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها . ولو بقى خارجها ما أكرهه أحد على الإسلام بل لتكفل الإسلام بحمايته إن كان من أهل الكتاب ، وبإجارتها وإبلاغه مأمنه إن كان من المشركين وليس بعد ذلك سباحة للمخالفين فى العقيدة .

« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » .

تلك الأسباب الثلاثة هى المبيحة للقتل ، فمن قتل مظلوما بغير واحد من تلك الأسباب فقد جعل الله لوليه — وهو أقرب عاصب اليه — سلطانا على القاتل ، إن شاء قتله وإن شاء عفا على الدية وإن شاء عفا عنه بلا دية فهو صاحب الأمر فى التصرف فى القاتل ، لأن دمه له .

وفى مقابل هذا السلطان الكبير ينهـا الإسلام عن الإسراف فى القتل إستغلالا لهذا السلطان الذى منحه إياه . والإسراف فى القتل يكون بتجاوز القاتل الى سواء ممن لا ذنب لهم ، كما يقع فى الثأر الجاهلى الذى يؤخذ فيه الآباء والأخوة والأبناء والأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل ، ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل ، والولى المسلط على دمه بلا مثله ، فالحل يكره المثلة والرسول قد نهى عنه .

«فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً» . يقضى له الله ، يؤيده الشرع . وينصره الحاكم . فليكن عادلاً في قصاصه ، وكل السلطات تناصره وتأخذ له بحقه (٢) . وفي تولية صاحب الدم على القصاص من القاتل ، وتجنيد سلطان الشرع وسلطان الحاكم لنصرته تلبية للفطرة البشرية وتهدة للغليان الذي تستشعره نفس الولي الغليان الذي قد يجرفه ويدفعه إلى الضرب يمينا وشمالا في حمى الغضب والانفعال على غير هدى . فإما حين يحسن أن الله قد ولاه على دم القاتل ، وأن الحاكم مجند لنصرته على القصاص ، فإن ثأرته تهدأ ونفسه تسكن عند حد القصاص العادل الهادئ (٣) .

غير أن حكم قتل القاتل ليس مطلقا ، فإن في القرآن العظيم آية أخرى سنراها بعد قليل تقول بتنازل ذوى القتل عن حق القتل ، ولهم أخذ الدية أو التنازل عنها وليس لأحد غيرهم العفو عنه فهم وحدهم أصحاب الحق الشرعي والطبيعي في القاتل وهم وحدهم المفجوعون به . وفي هذه الحال يكون المقدم على القتل في حالة ذعر دائم وخوف رهيب من مطالبتهم بقتله من السلطة الحاكمة وقبوله العفو والدية مشكوك فيه ، وربما كان بعيدا ، فكم من الناس لم يقبلوا بالتنازل عن حقهم وأصروا على طلب الإعدام ، فأعدم القاتل .

إلا أن هناك احتمالا قد يكون ضعيفا وقد يكون قويا بأن تهب الهيئة الاجتماعية ، إذا كان القاتل ليس من أصحاب السوابق ، وكان من ذوى الفضل والعلم الذين يخسر المجتمع إذا فقدوا الحياة ، فتسارع هذه الهيئة للتوسط ورجاء ذوى القتل للعفو عنه سواء بأخذ الدية أو بدونها حسب رغبتهم الخاصة .

والأمل قد يكون قويا بقبول شفاعتهم فينجو القاتل من الإعدام ، وينجو المجتمع من فقدته ، وقد يكون هذا الأمل ضعيفا فيقتل ويذهب ضحية جريته .

والقضية في هذه الحال تأخذ وضعا دقيقا وحساسا يكون فيها المقدم على القتل في وضع رهيب يسيطر عليه الخوف كما صوره القرآن العظيم في آية « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا » (٤) .

تفصيل الحكم الاسلامي

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى . الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى (٥) ، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان . ذلك تخفيف من ربكم ورحمة . فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم . ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

النداء للذين آمنوا بهذه الصفة التي تقتضى الثقل من الله ، الذي آمنوا به في تشريع القصاص . وهو يناديهم لينبئهم أن الله فرض عليهم شريعة القصاص في القتلى ، بالتفصيل الذي جاء في الآية الأولى . وفي الآية الثانية يبين حكمة هذه الشريعة ، ويوقظ فيهم التعقل والتدبر لهذه الحكمة . كما يستجيش في قلوبهم شعور التقوى ، وهو صمام الأمن في مجال القتلى والقصاص « فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » .

وهذا العفو يكون بقبول الدية من أولياء الدم بدلا من قتل الجاني ، ومتى قبل ولي الدم هذا ورضيه ، فيجب إذن أن يطلبه بالمعروف والرضى والسودة ، ويجب على القاتل أو وليه أن يؤديه بإحسان واجبال وأكمال ، تحقيقا لمصفاة

القلوب . وشفاء لجراح النفوس . وتقوية لاواصر الأخوة بين البقية الأحياء .
وقد امتن الله على الذين آمنوا بشريعة الدية هذه بما فيها من تخفيف ورحمة
« ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

ولم يكن هذا التشريع مباحا لبنى اسرائيل فى التوراة . إنما شرع للأمة
المسلية استنبقاء للأرواح عند التراضى والصفاء . « فمن اعتدى بعد ذلك غلته
عذاب اليم » . وفوق العذاب الذى يتوعد به فى الآخرة . . . يتعين قتله ، ولا تقبل
منه الدية ، لأن الاعتداء بعد التراضى والقبول ، نكث للعهد . وإهدار للتراضى ،
وإثارة للشحناء بعد صفاء القلوب . ومتى قبل ولى الدم الدية فلا يجوز له أن يعود
فينتقم ويعتدى .

ومن ثم ندرك سعة آفاق الاسلام ، وبصره بحواجز النفس البشرية عند
التشريع لها ، ومعرفته بما فطرت عليه من النوازع . . إن الغضب للدم فطرية
وطبيعة . فالاسلام يلبيها بتقرير شريعة القصاص ، فالعدل الجازم هو الذى يكسر
شر النفوس . ويذهب حق الصدور ، ويردع الجانى كذلك عن التماذى .
ولكن الاسلام فى الوقت ذاته يجب فى العفو ، ويفتح له الطريق ، ويرسم له
الحدود ، فتكون الدعوة اليه بعد تقرير القصاص دعوة الى التسامى فى حدود
التطوع ، لا فرضا يكبت فطرة الانسان ويحبلها ما لا تطيق .

ثم يكمل سياق الحديث عن غريضة القصاص بما يكشف عن حكمته العميقة
واهدافها الأخيرة « ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب لعلمكم تتقون » .

إنه ليس الانتقام ، وليس ارواء الاحقاد . إنما هو أجل من ذلك وأعلى إنسه
للحياة . وفى سبيل الحياة ، بل هو فى ذاته حياة . . . ثم إنه للتفكير والتدبر فى
حكمة الفريضة ، ولاستحياء القلوب واستجاشتها لتقوى الله .

والحياة التى فى القصاص تنبئ من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء .
فالذى يوقن انه يدفع حياته ثمنا لحياة من يقتل . . . جدير به ان يتسروى ويفكر
ويتردد . كما تنبئ من شفاء صدور اولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل . شفاؤها
من الحقد والرغبة فى الثأر . الثأر الذى لم يكن يقف عند حد فى القبائل العربية
حتى لتدوم معاركه المتقطعة أربعين عاما كما فى حرب البسوس المعروفة عندهم .
وكما نرى نحن فى واقع حياتنا اليوم ، حيث تسيل الحياة على مذابح الاحقاد
العائلية جيلا بعد جيل ، ولا تكف عن المسيل . وفى القصاص حياة على معناها
الاشمل الأعم ، فاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها ، واعتداء على كل
إنسان حى يشترك مع القتل فى سبة الحياة ، فإذا كف القصاص الجانى عن
إزهاق حياة واحدة ، فقد كفه عن الاعتداء على الحياة كلها ، وكان فى هذا الكف
حياة . . . حياة مطلقة ، لا حياة فرد ، ولا حياة أسرة ، ولا حياة جماعة . . . بل
حياة . . .

ثم — وهو الأهم والعامل المؤثر الأول فى حفظ الحياة — استجاشة شعور
التدبر لحكمة الله ، ولتقواه (لعلمكم تتقون) .

هذا هو الرباط الذى يعقل النفوس عن الاعتداء ، الاعتداء بالقتل ابتداء
والاعتداء فى الثأر أخيرا . . . التقوى . . . حساسية القلب وشعوره بالخوف من
الله ، وتحرجه من غضبه وتطلبه لرضاه .

إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة ، ولا يفلح قانون ، ولا يتحرج متحرج ، ولا
تكفى التنظيمات الخاوية من الروح والحساسية والخوف والطمع فى قوة أكبر من
قوة الإنسان .

وهذا ما يفسر لنا ندرة عدد الجرائم التى أقيمت فيها الحدود على عهد النبى

صلى الله عليه وسلم ، وعهد الخلفاء ، ومعظمها كان مصحوبا باعتراف الجاني نفسه طائعا مختارا ... لقد كانت هناك التقوى ، كانت هي الحارس اليقظ فى داخل الضمائر وفى حنايا القلوب ، تكفها عن مواضع الحدود ... الى جانب الشريعة النيرة البصيرة بخفايا الفطر ومكونات القلوب ... وكان هناك ذلك التكامل بين التنظيمات والشرائع من ناحية والتوجيهات والعبادات من ناحية اخرى ، تتعاون جميعها على إنشاء مجتمع سليم التصور سليم الشعور ، نظيف الحركة نظيف السلوك ، لأنها تقيم محكمتها الاولى فى داخل الضمير . (٦) أما بعد

فانى تحدثت فيما سبق عن حكم من احكام الاسلام . وهو الاعدام ، وكيف انه فى القمة من الحق والعدل والرحمة ، وقد اشتمل على مزايا نظرية الاعدام ونظرية الغائه ، و خلا من محاذيرها بصورة رائعة .
فهل يشجعنا هذا المثال من الوفاء الامثلة على دراسة الشريعة الاسلامية والعمل بها من أجل تحقيق العدالة والحق والسلام ، تلك الشريعة التى تشهد بعظمتها كبار اساطين الشرق والغرب فى القانون من مسلمين وغيرهم مما يضيق المجال عن التحدث عنه .

إننا نستصرخ الضمائر الحية . راجين ان يتناول هذا البحث بالدراسة والعناية والاهتمام ، واننا لا ندرى كيف نسوغ لانفسنا ترك تراثنا التشريعى الضخم . والتهافت على القوانين الغربية المهلهلة التى من شأنها أن تضع شخصيتنا العربية وتطبعننا بطباع الغربيين فنعتقد اخلاقهم الاباحية ، ونجعلهم سادة لنا ، ونصبح خدما لهم ، مثلنا فى ذلك هنود امريكا الذين اعتنقوا عقيدة القوم وقبلوا قوانينهم فلم ينفعهم ذلك شيئا ، وانما هددهم بالفناء وعرضهم للخطر .

ان قبولنا تحكيم التشريع الإسلامى علاوة على كونه يحفظ كياناتنا ويصون قوميتنا ، يجعلنا أئمة لخمسائة مليون مسلم ، وهم حلفاء طبيعيون لنا وأصدقاء صادقون يفرحون لفرحنا ويألمون لألمنا ، باستثناء بعض حكوماتهم الدائرة فى فك الاستعمار . ولكن الحكومات لا تدوم وقد رأينا مصارعها ، انها البقاء للشعوب . وهذه الشعوب تشارك العرب بعواطفهم وتقر لهم بالزعامة ، وترى مصيرها مرتبطا بمصيرهم .

خطب الحكيم محمد إقبال فى أعضاء المؤتمر الإسلامى المنعقد فى القدس عام ١٣٥٠ (١٩٣١) فقال : « إن الاسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب : اولهما «الأحاد» ، وثانيهما الاستعمار ، وأن مستقبل المسلمين فى العالم رهين بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهين بوحدة العرب ، فإذا تمت وحدة العرب علا شأن المسلمين فى كل أنحاء الأرض » .

إن القومية العربية متعطشة اليوم الى تحقيق العدالة بين شعوبها ، وخاصة العدالة الاجتماعية فهى حريصة على ما يكفل بقاءها عزيزة ويجعلها تساهم فى تأسيس الحضارة .

الا أن بعض من يتظاهر بالاخلاص لهذه القومية ، يفرينا بالارتضاء فى أحضان النزعات المتخلفة من أجل تحقيق هذه العدالة .

ما القول اذا كان هناك نظام ، لا يدعنا ذيلا فى القافلة ، قافلة المسكرات المتطاحنة ، انما يمتحننا مع العدالة (على اختلاف صورها) كرامة دولية عزيزة فى الخارج ، ويرد لنا اعتبارنا فى المجتمع الدولى .

ما القول اذا كان هناك نظام يحل مشكلاتنا الداخلية وفى الوقت ذاته لا

بدعنا نقف أبداً من المائدة الإنسانية وقفة المستجدي الذليل ، بل وقفة المساهم في هذه المائدة المعطى ما عنده ، وما عنده ليس بقليل .

إننا لنعجب كيف يمكن الإنسان أن ينأى بنفسه عن موقف الكرامة الى موقف الذلة وعن دور المعطى الى دور المستجدي ، وعن مركز القيادة الى موقف التبعية وهو قادر على الاختيار ، لو قاوم في ضميره شعور الاضطرار .

إن لدينا ما نعطيه ، ولنا من الفلسطينيين بحيث يتصور الكثيرون ، أو بحيث تصورنا لأنفسنا المعسكرات الأجنبية .

أن لدينا ما نعطيه ولنا من الافلاس بحيث يتصور الكثيرون ، أو بحيث تصورنا لأنفسنا الأجانب المستعمرون على اختلاف مشاربهم ، أنما يصوروننا هكذا لغاية في أنفسهم ، ليحل التخازل في نفوسنا محل الثقة ، والياس محل التطلع ، ولنستقط فرائس ذليلة مستغفلة ، في هذا الفخ أو ذاك ، أن لدينا ما نعطيه، ولكن في حاجة لأن نؤمن بأنفسنا ، ففي هذا الايمان حياة ، وفي هذا الايمان نجاة .

إذا اتضح أن الاسلام يملك أن يحل لنا مشكلاتنا الأساسية ، ويمنحنا عدالة شاملة ، ويردنا الى عدل في الحكم، وعدل في المنزل ، وعدل في الفرص، وعدل في الجزاء فانه يكون بلا شك أقدر على العمل في بلادنا من كل مذهب آخر ، نحاول استعارته عن طريق التقليد ، أو عن طريقة المشاركة في الحضارة الإنسانية بالاستجداء .

أجل — إذا اتضح هذا كله — فالاسلام أقدر على العمل معنا هنا في الداخل، ولن نحتاج الى استجلابه من وراء الحدود ، كما نستجلب الثياب المستعملة الجاهزة فتجئ فضاضة ، أو خائكة ، « وقد تجيء وفيها السل » لأنها لم تصنع على أعيننا ولم تفصل على قدنا ، ولم تتبع من الآمناء وآمالنا .

والاسلام — يا قوم — صاحب لنا صديق، صاحبنا الفاء وأربعمائة عام تقريبا، له في الجوانح هزة، وفي المشاعر ذكرى، وفي الضمائر اصدا، وليس بالغريب على ارواحنا ومشاعرنا وعادتنا وتقاليدنا غربة المذاهب الأخرى التي نحمد منها أشياء ونكره منها أشياء ، ونألف منها اتجاهها وننكر عليها اتجاهها وتتوزع مشاعرنا ازاءها على أية حال توزيعا لا يضمن معه توحيد الجبهة في طلب عدالة قوية كما نضمن توحيدها إذا نحن هتفنا الى العدالة باسم الاسلام .

أن الذين يريدون تحية الاسلام عن معركة العدالة على انواعها ليخوضوها تحت راية أخرى . أنما يخونون انفسهم ان كانوا مخلصين في دعوى العدالة أو يخونون قضية الجماهير ، جهلا بقيمة القوة الكبرى التي يزودهم الاسلام بها ، أو عداوة مربية لهذه القوة العظيمة ، أو احتقارا لأنفسهم وكفرا بقيمتهم ، ورضاء كرضاء العبيد بفئات الموائد ووقفة الأذنان . . .

أنما نفهم جيدا أن ينصب المستعمرون والمستغلون والطفافة للاسلام لينحوه عن معركة الحكم ، لأنه يحارب استعمارهم واستغلالهم وظلمهم بقوة ، أما أن ينصب للاسلام دعاة العدالة ورجال القضاء فذلك أمر غير مفهوم عندنا ، فان وراءنا لخنا ومؤامرة يجب أن يفتن اليها الأبرياء والمخلصون الذين يريدون العدالة لذاتها ، ويكافحون للجماهير وحدها ، ويتجردون لهذه الغاية النبيلة بلا رياء ولا التواء ، ولا خيانة .

أن ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة في حق العدالة ، وهدر لشرفنا العربي ، فهي تجعل عقوبة من يزني بأمه أو ابنته أو شقيقته أقل — بكثير — من عقوبة من يسرق متاعا بسيطا .

أن ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة قومية ، فهو طالما داس كرامتنا

وحاول استرقاقتنا وعرضنا للذبح والتشريد . فهل يليق اتباعه بدلا من ان نشير عليه روح اللعنة والانتقام .

ان ارتباطنا بقوانين الغرب استهانة بحق الاسلام وتهاون بأوامر الله سبحانه الذى شاعت حكمته ان تحكم قوانينه الانسانية البشر ، كما حكمت قوانين الطبيعة الكون . وقد تم للبشر الافادة من الطبيعة بخضوعهم لهذه القوانين ، فما بالهم تمردوا على القوانين الاخرى حتى حرموا الافادة من عدلها وخيرها وسلامها لقد وصف هذا الاله العظيم من يهجر قوانين الاسلام بالكفر والفسق والظلم فقال : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وهل اكفر وافسق واظلم ممن يترك النظم الالهية التى انبثت التطبيق . ثم اثبت رجال القوانين عظمتها — ثم يروح ويرتنى فى احضان القوانين الغربية الوضعية التى زادتنا فسادا وفوضى كما زادت خرابا وانهيارا .

اذكروا يوم كان اجدادكم العرب قبل اربعة عشر قرنا يخطفهم الاستعمار الرومانى والفارسى من كل مكان ويستذلهم . فجاء التشريع الاسلامى العربى فأنقذهم ورفع لهم راية الحرية وقادهم الى اعلى ذرا المجد .

اذكروا اجدادكم العرب الذين كانوا يهيمنون فى الضلالة وقد انقسموا الى قبائل يذبح بعضها بعضا ، مما كان يهددهم بالفناء ، فسارع الاسلام — بأسرع من البرق — فاصلحهم ووحده بينهم وجعل منهم خير امة اخرجت للناس .

اذكروا سلطان اليهود الذى كان يسرى فى جسم القبائل العربية والحجاز مهددا اياها بالفقر والمرض حتى جاء الاسلام فاستأصل شائغتهم واجلاهم عن الجزيرة العربية ، اذكروا ان هذه الامة العربية لا يصلح آخرها الا بما صلح به اولها ، وان قوة العقيدة الصحيحة ليس مثلها قوة .

وان هذا التشريع الاسلامى الذى انشأ مدينة دمشق وبغداد والاندلس (وهى سبب المدنية الغربية) لن يعجز عن مدينة العصر الحديث الصحيحة .

اذكروا ان جامعة اكسفورد الانجليزية قد انشأت كرسيها لمحاربة التشريع الاسلامى وابعاد القومية العربية عن هذا النظام الديناميكي ليسهل استعمارها فهل يجوز ان نعمل كما يعمل المستعمرون . . ؟

اذكروا انكم حملة رسالة العروبة المؤمنة . وان العالم اليوم على فوهة بركان ، فقد عرضته المدنية المادية الحديثة ومذاهبها الهوجاء الالحادية الى الفناء باعتراف مفكرى الغرب . سارعوا لحمل الشعلة واثاقذ قافلة الانسانية الضالة .

(١) راجع كتاب « الجرية والمجتمع » للدكتور زكريا ابراهيم ص ١٥ — ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ — ١٨ .

(٣) عقوبة الاعدام للاستناد : المحامى مصطفى ذوق ص ٣ — ٤ .

(٤) فى ظلال القرآن تأليف سيد قطب ص ٢١ و ٢٢ المجلد الخامس .

(٥) هذا الحكم ينسوخ باية (وكنتن عليهم فيها أن النفس بالنفس .. الآية) .

(٦) قال ابن عباس : مما كتب على من كان قبلكم ، فاتته كان فى بنى اسرائيل القصص ، ولم تكن فيهم الدية .. الحديث أخرجه البخارى والنسائى . والمسيحية كانت تقول بالمعفو مطلقا !

(٧) فى ظلال القرآن تأليف سيد قطب ص ٦٨ — ٧٢ الجزء الثانى — المجلد الاول .

دور جامعة الأزهر في الطب

احتفالاً بالمعيد الالفى للأزهر دعت كلية الجراحين الملكية بديلن - أشهر وأقدم كلية جراحين في العالم - الدكتور غزاد الحفناوى استاذ ورئيس قسم أمراض النساء بكلية طب الأزهر . ليكون ضيف الشرف في الاجتماع السادس لذكرى روبرت آدمز منشىء الكلية - وقد التى الدكتور الحفناوى في الاحتفال محاضرة عن دور الأزهر في تعليم الطب أمام حوالي ٥٠٠ طبيب من كبار جراحى العالم ، قال فيها : ان انشاء كلية طب في الأزهر ، في العصر الحديث لم يكن بدعة أو أمراً دخيلاً على الأزهر - فمئذ انشائه أيام الماطميين كانت تلقى فيه بجانب العلوم الدينية دراسات عن النظام الأكاديمى فى الطب والرياضة والفلك .

□ ويذكر التاريخ أن اثنين ممن تولوا منصب شيخ الأزهر وهو أعلى منصب في الجامعة الإسلامية ، كانت لهما مؤلفات في الطب ، أولها الشيخ حسن المطار الذى ألف عدة رسائل في الطب والتشريح وكتبا في الصيدلة رداً على تفكرة داود .

أما العالم الثانى فهو الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى الذى ترك مؤلفات طبية متعددة يذكر المؤرخون منها كتابه المسمى « القول الصريح فى علم التشريح » .

□ ويذكر التاريخ أيضاً أن أحد اعلام الأزهر وهو الشيخ عبد اللطيف البغدادي الذى أعلن في أيامه خطأ وصف قول جالينوس لفك الإنسان الأسفل من أنه مكون من عظميتين - وقد أجرى عالم الأزهر دراسة احصائية وقام بشرح لحوالى ٢٠٠٠ جمجمة لمونى وثابت أن فك الإنسان الأسفل يتكون من عظمة واحدة . وعالم الأزهر بهذا المنهج العلمى يعطينا مثلاً للذة والإمانة العلمية حين أعلن في ثقة اكتشافه وحده عظمة الفك الأسفل .

□ كما وأن هناك عالم الأزهر الكبير في عصر الحاكم بأمر الله وهو الحسن بن الهيثم الذى قرر لأول مرة أن الإبصار يرجع الى أن أشعة الجسم المرئى تنتقل الى العين وعارض بذلك نظرية بطليموس البنية على أن العين هي التى ينبعث منها أشعة الإبصار . . وقد أخذ عنه علماء أوروبا نظرياته في البصريات وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكية العين - وظلت هي المرجع المعتمد في أوروبا حتى القرن السادس عشر .

□ وفي العصر الحديث حين أراد محيد على القيام بنهضة صحية للعناية بالجيش استدعى كلوت بك من فرنسا الذى أوصى بإنشاء مدرسة للطب في أبو زعبل كان نواة الدارسين فيها ١٠٠ طالب أزهري سافر منهم بعد خمس سنوات الى باريس ١٢ خريجاً وحصلوا منها على شهادات التخصص وعادوا بعد ذلك ليعملوا كتواة لأعضاء هيئة تدريس مصرية صميمة - ثم كانوا أول اعمدة انشاء مدرسة طب في مصر وهي مدرسة طب قصر المعينى .

اننا نطالب والأزهر قد بلغ من العمر ألف سنة أن يكون الاحتفال به مساوياً لما قدمه مصر وللعالم الإسلامى من خدمات - بل أن يكون الاحتفال به بداية لدفعة جديدة كجامعة اسلامية شاملة وخصوصاً الكليات العملية التى أنشئت حديثاً وتحتاج لدعم كبير مثل الطب والهندسة والزراعة حتى تستطيع كليات الأزهر العملية أن تتخطى الصعوبات التى تواجهها وتخرج للعالم الإسلامى العلماء المتخصصين فى أحدث تطورات العلم فى عصرنا .

السنة

ومنزلتها من القرآن..

للدكتور عبد الله شحاته

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي » .

وتطلق السنة على الطريقة والمنهج ، ومن ذلك لفظ الحديث الشريف : « من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير أن ينتقص من اجورهم شيء » ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من اوزارهم » . رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي .

كما تطلق على الطبيعة والناموس الكوني وعلى حكم الله سبحانه وتديره ومنه قوله تعالى : (سنة الله وإن تجد لسنة الله تبديلا) الاحزاب : ٦٢ .
والسنة في اصطلاح المحدثين تطلق على ما اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من اقوال او افعال او تقرير او سيرة او خلق او شمائل او اخبار ، وقد يستعمل اسم الحديث او الخبر او الاثر حيث يستعمل اسم السنة (١) وبذلك يكون الحديث والاثر مرادفا للسنة بالمعنى العام . قال العلماء :

« أما أصل علم الحديث والسنة فهو اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله ونومه ويقظته وحركاته وسكونه وقيامه وجوده واجتهاده وعبادته وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجده وخطبه واكله وشربه ومشييه وسكونته وملاطفته أهله وتأديبه فرسه وكتبه الى المسلمين والمشركين وعهوده ومواثيقه والحافظه

وأتماسه وصفاته مما رواه عنه من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة صحبه
 نيفا وعشرين سنة بكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة ، سوى ما حفظوا عنه
 من أحكام الشريعة وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام وتحاكموا اليه فيه ،
 وقد أدى ذلك من الصحابة الى التابعين فمن بعدهم الى عصر التدوين (٢) .

تدوين السنة

كان عمر بن عبد العزيز أول من أمر بتدوين السنة خوفا عليها من الضياع .
 وأكد هذا الأمر أبو جعفر المنصور فانتدب لذلك ابن شهاب الزهري وكان سابق
 الطلبة ، إلا أن عمله إنما كان تدوينا مجردا من غير تبويب ولا ترتيب . وأما
 الجميع مرتبا على الأبواب فوقع في نصف القرن الثاني الهجري ، وكان ممن قام
 بذلك ابن جريج بكة ، ومالك وابن اسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ومهمر
 باليمن وابن المبارك بخراسان ، والربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وحجاد بن
 سلمة بالبصرة وسفيان الثوري بالكوفة والأوزاعي بالشام ، وجريير بن عبيد
 الحميد بالري (٣) .

موطأ مالك

عاش الإمام مالك بالمدينة المنورة وهي دار الهجرة والمركز الاسلامي الذي
 انتقل نور الاسلام منه الى سائر الامصار ، وفي صحيح البخاري : « ان الامان
 ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » . أي ان الامان يحتمى بالمدينة
 ويحصن بها من اذى المشركين كما تحتمى الحية بجحرها من يريد قتلها .
 وقد ولد الإمام مالك بالمدينة سنة ٩٤ هـ وتوفي بها سنة ١٧٩ عن ٨٥ سنة
 بعد ان ألف كتابه الموطأ ، ولعله الكتاب الوحيد الذي وصلنا بالرواية الصحيحة
 من تأليف هذا العصر . ولذلك نتخذة نموذجا للطريقة التي دون بها علم الحديث
 في أول الامر .

والموطأ وإن لم يكن في الواقع كتاب حديث مجرد لانه يحتوى على كثير من
 الفقه والاستنباط واقوال السلف ومذاهب الصحابة .

الا أنه فيما اشتمل عليه من الحديث يعطينا فكرة صادقة عن الجهد الذي
 بذله الإمام مالك في تحري الأحاديث الصحيحة ، وعدم الرواية إلا عن الاعلام
 الاثبات الثقات ، فقد قيل أنه لما ألفه أولا كان يشتمل على نحو عشرة آلاف حديث
 ولم يزل ينتقى منه ويختار حتى لم يبق منه الا نحو الف حديث وهذه النسبة وهي
 واحد من عشرة أو قل عشرة من مائة ، هي التي عمل عليها تقريبا جل المؤلفين
 في الحديث بعد ذلك ، لا سيما أئمة الصحيح .

ورتب الإمام مالك كتابه الموطأ على الأبواب والمسائل ، فهو يخرج الحديث
 الشاهد في أول الباب أو في أشانه ثم يخلل الباب بالآثار والاقوال الثابتة عن
 الصحابة وأئمة السلف في الموضوع ، ويأتى بباب اسمه الجامع يروى فيه
 متفرقات من الباب لا تصلح أن تفرد بترجمة ، وقد ختم الكتاب كذلك بباب واسع
 سماه الجامع ، وضمنه أحاديث في السنن والأخلاق وآداب السلوك
 ونحو ذلك .

ويقال أنه أول من ابتكر هذا الصنيع في التأليف ، أي جمع المسائل
 المتفرقة في باب اسمه الجامع ، وعلى ما نرى فإن طريقة الإمام مالك في تأليفه
 للموطأ برغم قدم الزمن هي من أحسن الطرق التي ألفت عليها كتب السنة
 فيما بعد وأتبعها معظم المحدثين الى المائة الثالثة .

وفى القرن الثالث الهجرى نشطت حركة جمع الحديث نشاطا كبيرا وتناولت مختلف وجوه العمل لتأليفه وتبويبه وتخليصه من الزيف والعلّة ، غالف البخارى جامعه الذى هو أول كتاب ألف فى الصحيح ، وكذا مسلم صاحب ثانى الصحيحين ، وألف بقية أصحاب كتب السنة كتبهم ، وهى التى تلقاها المسلمون بالقبول . ويقول السيوطى : أن الحديث إذا أخرجه أحد هؤلاء المؤلفين السنة فليروه الإسناد مطمئنا اليه (٤) .

وكان التأليف فى هذا العصر على اوضاع مختلفة ، منها مابقى محافظا على وضعه الاول الذى كان أكثر العمل عليه عند بدء التأليف ، وهو جمع احاديث كل راو على حده ، وأن اختلفت موضوعاتها ، وهذا ما يسمى بالمسند ، وهو المنهج الذى اتبعه الامام احمد بن حنبل فى كتابه العظيم المسمى بمسند الامام احمد ، ومنها ما ألف على الابواب والمسائل وهى طريقة الامام مالك فى الموطأ . ومنه ما يكون عاما شاملا لاحاديث العبادات والاحكام والحكم والتواريخ والرفائق وغير ذلك وهو المسمى بالجامع ، ومنه الجامع الصحيح للامام البخارى وغيره ، ومنه ما يقتصر على السنن والاحكام كسنن أبى داود ، ومنه ما يخص موضوعا بعينه أو مسألة واحدة فقط كشعب الإيمان للبيهقى والقراءة فى الصلاة للبخارى الى غير ذلك .

« واشتهر صحيح البخارى وصحيح مسلم وكتب السنن الاربعة بالكتب الستة ولكل من أصحابها ميزة يعرف بها . فمن أراد التفقه فعليه بصحيح البخارى ، ومن أراد قلة التعليقات فعليه بصحيح مسلم ، ومن رغب فى زيادة معلوماته فى فن التحديث فعليه بجامع الترمذى ، ومن قصد الى حصر احاديث الاحكام فبغيفته لدى أبى داود فى سننه ، ومن كان يعنيه حسن التبويب فى الفقه فابن ماجة يلبي رغبته ، فاما النسائى فقد توافرت له هذه الزايا (٥) » .

وأحب أن أسجل هنا ظاهرة تشترك فيها جميع الكتب التى ألفت فى السنة . وهذه الظاهرة هى حرص جميع المؤلفين برغم اختلاف مناهجهم على ألا يسجلوا فى كتبهم حديثا الا ومعه اسناده الذى تلقوه به مسلسلا بمصل الحلقات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانما نسجل هذه الظاهرة هنا لانها أسهمت بنصيب كبير فى حفظ السنة النبوية وأعانت على التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف وهيات المخرجين من الدارسين ما هيأته للمتقدمين ، من دراسة دقيقة للسنة ، ومن نقد منصف أمين لما لم يصح منها (٦) .

الاسناد وأثره فى حفظ الحديث

حرص المحدثون أن يصحبوا كل حديث بسنده الذى روى به وبذلوا جهودا فى هذا الصدد لا يوجد لها نظير عند غير المسلمين ومن ثم قيل أن الاسناد من خصائص هذه الامة أى تتبع رواة الحديث واحدا فواحدا والبحث عن حالهم من الحفظ والضبط والعدالة الى النبى صلى الله عليه وسلم .

شهادة أنصاف

وقد أبدى المنصفون من المستشرقين اعجابهم بالجهد الكبير الذى بذله المسلمون لحفظ الاحاديث النبوية وتمييز صحيحها من ضعيفها ، قال المستشرق جوينبول Guynball كاتب مادة الحديث فى دائرة المعارف الاسلامية : « لا يعد الحديث صحيحا فى نظر المسلمين الا اذا تابعت سلسلة الاسناد من غير انقطاع ، وكانت تتألف من افراد يوثق بروايتهم ، وتحقيق الاسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الامر بحثا ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم

لمعرفة الوقت الذى عاشوا فيه وأحوال معاشهم . وكان وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر ، بل فحصوا أيضا عن قيمة المحدث صدقا وكذبا وعن مقدار تحريه للدقة والامانة فى نقل المتن ليحكموا أى الرواة كان ثقة فى روايته « (٧) » .

.. ..

ونسوه الأستاذ آدم متر ، فى كتابه الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، بالدور العظيم الذى قام به علماء الحديث فى تدوين السنة النبوية وخدمتها فقال : « وقد أعتنى نقاد الحديث منذ أول الامر بمعرفة رجال الحديث وضبط أسانئهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء ، ثم نظروا فى الأساس الذى يبنى عليه هذا الحكم أعنى الصفات التى يجب توغرها فى المحدث الثقة ، وهو ما يعرف بالجرح والتعديل ، وقد أدت بهم حاجتهم الى السند المتصل أن يتجاوزوا البحث فى حياة الرواة والحكم عليهم الى عمل تاريخ كامل لهم ، وهكذا وجدت تواريخ القرن الثالث الهجرى مثل تاريخ البخارى وطبقات ابن سعد .. الخ » (٨) .

منزلة السنة من القرآن

لم يكن للأحكام فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر سوى القرآن والسنة ففى القرآن الأصول العامة للأحكام الشرعية دون التعرض الى تفصيلها جيمها ، والتفريع عليها .

وحكمة ذلك أن يحقق القرآن الكريم النهضة الانسانية الشاملة ، والرقى الاجتماعى والفكرى ، وينشر العدالة والسعادة فى كل زمن ، ويبقى صالحا لكل أمة مهما كانت بيئتها وأعرافها ، فتجد فيه ما يكفل حاجتها التشريعية فى سبيل النهوض والتقدم والى جانب هذه الأصول فى القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات وتخصص الامم الغابرة ، والآداب العامة والأخلاق .. « وقد جاءت السنة فى الجملة موافقة للقرآن الكريم تفسر مبهمه وتفصل مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه وأهدافه كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم تنمى مع قواعده وتحقق أهدافه وغاياته ، فكانت السنة تطبيقا عمليا لما جاء به القرآن العظيم ، تطبيقا يتخذ مظاهر مختلفة ، فحينما يكون عملا صادرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحينما آخر يكون قولاً يقوله فى مناسبة ، وحينما ثالثا يكون تصرفا أو قولاً من أصحابه فىرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذاك ، فلا يعترض عليه ولا ينكره ، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريرا » (٩) .

.. ..

أمثلة من بيان السنة للقرآن

أمر القرآن بالإيمان بالله وحث عليه وذكر فضله وثوابه ، ثم جاءت السنة فوضحت هذا الإيمان وبينت حدوده بقوله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وحلوه وحره » (١٠) .

وكذلك الاسلام والاحسان ، وأركان الاسلام ، فالصلاة وهى عماد الدين وأولى فرائضه أوجبها القرآن مجمله بقوله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) البقرة : ٤٣ .

ولم يرد فى القرآن بيان عدد الصلوات ولا كيفيتها فجاءت السنة فبينت عدد الصلوات والركعات وكيفيتها وشروطها وأصلح ما يقع فيها من الخل ،

ووضحت أوقاتها وكيفية العمل في فوائدها .
ولم يذكر في القرآن ذلك الا مجزئيا ، ولكن السنة بينت ذلك تفصيلا
فقال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » (١١) .
وروي لنا الصحابة كيفية صلاته عليه الصلاة والسلام والاقوات التي صلى
فيها وما يتعلق بالصلاة ، وما هو واجب منها وما ليس بواجب .
والزكاة اشار القرآن الى وجوبها بقوله تعالى : (والذين في أموالهم
حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج : ٢٤ ، ٢٥ .
وبينت السنة الاصناف التي تجب فيها الزكاة وهي الاموال السائلة
وعروض التجارة والركاز وهو ما استخرج من باطن الارض والزرع والثمار ،
وزكاة الماشية كالابل والبقر والغنم ، وبينت تفاصيل الزكاة وما يتعلق بها .
وكذلك الصوم اوجب الله علينا صوم شهر رمضان وبينت السنة
احكام الصيام تفصيلا بفعله صلى الله عليه وسلم فوضحت اركان الصيام
وغرائضه وسننه وآدابه وعقابه وركبه والكفارة لمن افسد صيامه الى غير ذلك
والحج اوجه القرآن على من استطاع ، يقول سبحانه : (ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .

وبينت السنة كيفية الاحرام ومنوعاته وحدود عرفه والوقوف فيه وكيفية
السعي والطواف وعدد الاشواط الى غير ذلك ، وقد اجهله عليه السلام
بقوله : « خذوا عني مناسككم » وبينت الاحاديث النبوية التي رواها الصحابة
الذين عاينوا حجة الوداع تفاصيل حجه صلى الله عليه وسلم .
فهذه بعض الاحكام مما يتعلق بالقواعد الخمس فقط ، استنفدت من
السنة وان ذكرت اصولها في القرآن ، فلا جرم ان السنة تولية كانت او فعلية
عليها مناسك التشريع بعد القرآن ، في العبادات والمعاملات . وخلاصة القول
ان السنة مع القرآن على ثلاثة وجوه :

الاول : ما كان موافقا للكتاب مؤيدا له ومؤكدا ما جاء فيه كأحاديث الامر
بالصلاة والزكاة وتحريم الربا ونحوها .

الثاني : ما كان مبينا ومفسرا لما جاء في القرآن فبينت السنة المراد منه
كبيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها وأوقاتها .

الثالث : ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليس فيه نص من
القرآن ، كما في زكاة الفطر وصلاة الوتر من احكام العبادات وكما في الحكم
بالشاهد واليمين وميراث الجدة من احكام المعاملات . وقد قال الله عز وجل فيها
هو من هذا القبيل : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر : ٧ .

وجوب العمل بالسنة

ختم الله عز وجل الرسالات السماوية برسالة الاسلام ، فبعث محمدا
صلى الله عليه وسلم هاديا وانزل اليه القرآن الكريم ، المعجزة الكبرى والحجة
العظمى ، وأبهره بتبليغه وبيانه .

فالقرآن الكريم هو أساس الشريعة لانه كلام الله تعالى المعجز المنزل على
الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك جبريل الامين المتواتر لفظه جملة
وتفصيلا المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف .

وكل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم — سوى القرآن الكريم —
من بيان لاحكام الشريعة وتفصيل لما في الكتاب الكريم وتطبيق له هو الحديث

النبوى أو السنة - وهى بوحي من الله تعالى ، أو باجتهاد من الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن الرسول لا يقر على اجتهاد خطأ وعلى هذا فمرد السنة الى الوحي - فالقرآن الكريم هو الوحي المثلو المتبد بتلاوته والسنة وحى غير متلو لا يتعد بتلاوتها (١٢) .

وقد أرشدت أصول الدين الى وجوب العمل بالسنة ودل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع .

.. ..

أما الكتاب فقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى) النجم : ٢ ، ٤ .

وقوله سبحانه : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر : ٧ .

وقوله عز وجل : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء : ٨٠ .
وقوله تعالى : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل : ٤٤ .

فالرسول مبين للكتاب وشارح له ومطبق لاحكامه واهدائه فهو القرآن المتحرك ولذلك قالت عائشة وقد سئلت عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم : كان خلقه القرآن .

وقد أمرنا القرآن بطاعة الرسول فقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء : ٥٩ .

أدلة حجية السنة من الحديث :

قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا الفين احكم متكئا على أريكه يأتيه الامر من امرى مما أمرت به أو نهيت عنه » فيقول : لا أدري ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » (١٣) .

وفى الحديث : « نرکت فيکم شیین لن تضلوا بعدهما کتاب الله وسنتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » (١٤) .

الإجماع :

اجتمعت الامة الاسلامية على وجوب العمل بالسنة ، ونقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل ، ورجعوا اليها فى أمور دينهم ، وعملوا بما فيها وتمسكوا بها وحافظوا عليها ، استجابة لله عز وجل وتامسا برسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

روى أبو نضرة عن الصحابى الجليل عمران بن حصين : أن رجلا أتاه فساءله عن شىء فحدثه ، فقال الرجل : حدثوا عن كتاب الله عز وجل ولا تحدثوا عن غيره ، فقال : انك امرؤ احمق .. أتجد فى كتاب الله صلاة الظهر أربعما لا يجهر فيها ، وعبد الصلوات ، وعد الزكاة ونحوها ، ثم قال : أتجد هذا مفسرا فى كتاب الله ؟ كتاب الله أحكم ذلك والسنة تفسير ذلك (١٥) .

.. ..

وقد نهج الصحابة والتابعون وأتباعهم والمسلمون من بعدهم على المحافظة على السنة والعمل بها وإجلالها .
 قال رجل للتابعي الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال مطرف : « والله ما نريد بالقرآن بدلا . ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بين الكتاب الكريم وطبق تعاليمه ، وشرح مقاصده وغاياته ، وفصل أحكامه بسنته الطاهرة . التي كانت ولا تزال قدوة المسلمين وسبيلهم ولذلك تمسكوا بها تمسكهم بالقرآن الكريم ، وحافظوا عليها محافظتهم عليه (١٦) .

ان عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم انه استطاع ان يجمع العرب وان يوحد كلمتهم وان ينشر روح الحياة في أمتهم حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس : فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحملوا رسالة الله الى المشرق والمغرب وجاءهم نصر الله والفتح .
 وان هذا القبس والهدى فيه الصلاح والفلاح لامتنا ولن يصلح آخر الأمة الا بما صلح به أولها . وصدق الله العظيم : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الاحزاب : ٢١ .

-
- (١) على الخفيف : مكانة السنة ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لجمع البحوث الإسلامية بالآزهر ، ص ٢٤ .
 (٢) عبد الله كائون ، الحديث وقيمته العلمية ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لجمع البحوث الإسلامية بالآزهر ص ٦٨ ، والدخل الى علم الحديث للحاكم النيسابوري ص ١٢ من طبعة لندن ، ومحمد عجاج الخطيب ، أصول الحديث ص ٢٥ طبعة لبنان (دار الفكر) .
 (٣) تدريب الراوى للسيوطي ص ٢٤ .
 (٤) تدريب الراوى ص ٥٥ .
 (٥) د. مصطفى زيد : دراسات في السنة ، ص ٩ .
 (٦) د. مصطفى زيد : دراسات في السنة ، ص ١٠ .
 (٧) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية المجلد ٧ ص ٣٣٥ .
 (٨) الحضارة الإسلامية لآدم ميتز ، الترجمة العربية لمحمد عبد الهادي أبو ريدة ، ٣١٩/٤ .
 (٩) د. محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث ص ٤٧ . وعلى الخفيف : مكانة السنة ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لجمع البحوث الإسلامية بالآزهر ص ٢٩ وما بعدها ، وعلى حسب الله : أصول التشريع الإسلامي ص ٢٤ وما بعدها .
 (١٠) البخاري : ١٢/١ .
 (١١) البخاري : ٨٥/١ .
 (١٢) د. محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث ٢٤ .
 (١٣) رواه الإمام الشافعي في الرسالة ص ٨٩ غرة (٢٩٥) .
 (١٤) الفتح الكبير : ٢٧/٢ .
 (١٥) جامع بيان العلم وفضله : ١٩١/٢ .
 (١٦) جامع بيان العلم وفضله : ١٩١/٢ ، د. محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ٨٠ - ٩١ .

واجبنا نحو الاسلام

واجبنا ان ننشر مبادئه المثالية، ومثله العالية ، بجميع اللغات الأجنبية ، ونوزعها بالمجان ، أوبارخص الأثمان ، حتى يشعر العالم كله بالإسلام على حقيقته ، وتزول الخرافات والباطل التي نشرها المتعصبون المبشرون المحترقون عن الإسلام ، وهو منها برىء .

وروحه ، ومبادئه وأخلاقه ، وقواعده
في الإسلام حقاً دين الفطرة الإنسانية،
والعقل المنطقي ، يصلح لكل بيئة ،
ويناسب الحضري والبدوي والبدائي،
وكل شعب من الشعوب ، وكل عصر
من العصور .

واجبنا ان ندعو إلى الاسلام ،
بإخلاص في الدعوة ، وعقيدة في
القلب ، وصسفاء في السريرة ،
ابتغاء مرضاة الله ، حتى تخرج
الدعوة من اللسان ، أو تدون بالقلم،
فتسمع أو تقرأ ، فتصل إلى القلوب،
وتؤثر في النفوس ، لأنها خالصة
لوجه الله الحق جل جلاله .

هذه هي الوسيلة لنشر الإسلام
بين الأوروبيين والأمريكيين ،
والآسيويين والأفريقيين ، لأنهم
لا يعلمون شيئاً عن كنه الإسلام
وحقيقته ، إلا ما يذكر من الافتراءات
والأكاذيب ، لتضليل العقول في
الكتب المؤلفة للتبشير . والتبشير
حرفة يأكل منها البشر عيشه ،
ووسيلة بها يجد رزقه .

ولو تسرك الإنسان بفطرته
الطبيعية ، ولم يتدخل أحد من الآباء
والأمهات في جملة يهوديا أو نصرانيا
لاتخذ الإسلام ديناً لو نال نصيبه من
التعاطف العامة ، ثم وجد من يفهمه
الإسلام ، وآراءه ، وأركانه ،

لماذا انتشر الإسلام بسرعة ؟

مستهزىء به . وغسافل عنه .
ومستعذر عليه . واستمر يقارعهم
بالحجة ، ويناهضهم بالدليل ، ويأخذهم
بالنصيحة ، ويستكنهم بالمنطق .
ويزعجهم بالزجر . وأخيرا سفته
أحلامهم وعقولهم . وضلل آباءهم .
وسخر من آلهتهم وأوثانهم وأصنامهم .
وانذرهم عذابا ليلا .

وتأبر على ذلك صباح مساء .
حتى أخذتهم العزة بالإثم ، واجمعوا
أمرهم بينهم على قتله . ليستريحوا
منه . لولا ما كان من حماية عمه
أبي طالب إياه . وقد استمر في
الدعوة إلى الحق حتى انتصر عليهم
جميعا بالحجج القوية . والإيمان
الراسخ . والخلق الكامل . والأمانة
المطلقة . والإخلاص النادر . والصبر
الجميل .

بهذه الأخلاق العظيمة نجح محمد
صلى الله عليه وسلم في نشر دين
الله ، وإعلان أحكامه ، ووحد بين
العرب ، بعد أن كانوا شيعا وأحزابا .
وتحققت الوحدة العربية ، واجتمعت
الكلمة الإسلامية في جزيرة العرب .
وانتشرت الوحدة الدينية بين العرب .
بطريقة لم يعمد لها نظير في ماضيهم .

وأصبح العرب في زمن قصير
أمة تدين بالتوحيد ، وصارت الأمة
العربية دولة الزمان ، ذات الأساس
المتين .

وبانتشار الإسلام تغيرت عقائد
وعادات وتقاليد . وشرع الإسلام
للناس قوانين وأحكاما تتفق مع
العقل المنظم ، والمنطق السليم وجاء
بحكم وآداب خشعت لها قلوب
المفكرين ، ودهشت منها عقولهم ،
وانصرفت وراءها همهم . وحث

لقد انتشر الإسلام بسرعة في أقل
من قرن بين المصين من الشرق .
والحيط الأطلسي من الغرب ، لأنه
دين الفطرة ، والطبيعة الإنسانية .
دين المستقبل ، دين سهل يقبله
العقل والمنطق ، ويتصل بقلوب
الناس ، ويصل إلى الأفئدة . يدعو
إلى التمسك بالفضائل ، والبعد عن
الرذائل ، ويأمر بالخير ، وينهى عن
الشر .

انتشر الإسلام بسرعة لأنه دين
يحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويصلح
لكل زمان ومكان ، ويناسب كل بيئة
وإنسان ، يحدد الحقوق . ويسوى
بين جميع الطبقات ، في احترام النفس
والدين . والمرض والمال .

انتشر الإسلام بسرعة لأنه دين
اليسر والتسامح ، دين الإيثـار
والإنسانية ، دين الإخاء والحرية .
دين المساواة بين الفقراء والأغنياء .
دين العطف والشفقة والرحمة ، دين
العدالة المطلقة ، دين يسهل فهمه ،
ويطمئن إليه كل إنسان ، ويدعو
إلى الدنيا والآخرة .

ويرجع انتشار الإسلام بسرعة إلى
ما اتصف به الرسول الكريم من إيمان
بما يدعو إليه ، وثقة تامة بتأييد الله .
واجتهاد في نشر دعوته ، وثبات

عظيم ، وصبر لا نهائية له على
ما كان يلاقه من أذى أقرب الناس
إليه ، وهم أهله وعشيرته ، الذين
تحذوه وعاندوه ، وحرضوا القوم
عليه ، لكنه قام بالدعوة إلى الإسلام
وحده صابرا ، وقومه ما بين

على التعليم والإرشاد . وقرر قواعد العدالة والإنصاف ، والحرية الدينية . والمساواة بين الفقراء والأغنياء . والبيض والسود والصفر .

كل هذا أورد وأينع ، وازهر واثمر في ربع قرن ، ثم كان له في الأمة الإسلامية وحياتها الجديدة شأن عظيم .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أنشأ أمة عظيمة ، مخالفة متعاونة ، من قبائل عربية كانت متباغضة متطاحنة ، وأعد الأمة الإسلامية إعدادا كاملا : لتبوا مكانها بين الأمم الجديدة . فكان له منها دولة إسلامية عظيمة قوية عنت لها من بعده وجوه القياصرة والأكاسرة . وصار أبناؤها يرون بحق أنهم أهل لأن يسودوا العالم ، ويقودوا الأمم . وينشروا العدل والسلام على الأرض ، وصارت في أقل من قرن تخففي راياتها على البلاد المتحدة ، الممتدة من جدار الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا . ولم تبلغ دولة من دول العالم ما بلغته الدولة الإسلامية في انتصاراتها ، وفتوحاتها ، مع قلة المسلمين في البدء ، وقلة استعدادهم ، وكثرة الأعداء ، وقوة أسلحتهم .

« وما النصر إلا من عند الله » .
« إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

بلغ محمد دين التوحيد ، فاكتمح إفريقيا من القاهرة إلى مراكش وجنوب أوروبا ، واكتمح نصف آسيا من القدس الشريف إلى بغداد ، إلى طهران ، إلى الهند ، ووصل إلى قرطبة وغرناطة ، وانتصر الحق علي

الباطل . وانتشر نور الإسلام على ظلام الكفر والوثنية .

ولا عجب . فهو دين يدعو إلى توحيد الله . وينبذ الأوثان . ويدعو إلى الأخلاق الكريمة . والصفات النبيلة ، والآداب الكاملة ، والتمسك بالفضيلة . واجتناب الرذيلة .

دين زين أسبانيا ومصر والقسطنطينية وفلسطين والهند بمبارته الرشيدة الجميلة . من قصر الحمراء إلى القاج محل .

ولو اتبع المسلمون دينهم . واستمسكوا بأصوله وقواعده لظلت راياتهم تخفق إلى اليوم على ملكهم الواسع الأطراف .

وما دام الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه المجيد . وما دام الله يابى إلا أن يتم نوره ، ويظهر دينه على الدين كله . فإن أهل القرآن الكريم بعد انصرافهم عن كتابهم ودينهم ، سيقبلون على القرآن . وعلى الإسلام فيقبل عليهم الزمان ، وتعود الدولة إليهم ، وعد الله لا يخلف الله وعده .

الإسلام انتشر بمبادئه الإنسانية

وآرائه المنطقية :

وإننا نرى أن الإسلام قد انتشر بمبادئه المثالية في إفريقية وآسيا وأوروبا ، انتشر بمبادئه السامية لا بقوة السيف . انتشر بآرائه المنطقية التي تتفق مع العقل والمنطق ، وكل زمان ومكان ، وتتفق مع الحضارة والمدنية . انتشر بمبادئه التي تلائم الطباع والنفوس البشرية ، وتتفق

مع الإنسانية ، ففسد قصى على الرذائل ، وأبطل عبادة الأصنام . وحرّم اكل لحوم الإنسان ، ونشر بين العالم كله العزة والإيثار ، والكرم والإحسان ، والعفو عند المقدرة والصدقة على الفقراء والمساكين .

وبهذه المبادئ الإنسانية انتشر الإسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأتم الله نعمته على الرسول الكامل . ونصره نصرا عزيزا .

لماذا تأخر المسلمون ؟

إهمال الناحية الروحية والتفكير في الناحية المادية وحدها :

إن من ينظر إلى هذا العالم في القرن العشرين يجد أنه قد نسي الناحية الروحية ، والقيم الروحية ، والمبادئ الخلقية من الوفاء والمروءة ، والأمانة والرحمة ، نسي حياة الفضيلة ، وأتجه بعقله وعمله إلى الحياة المادية ، حياة الفساد والخيانة ، والقتل والقسوة ، فعاش في حرب ونزاع وقتال ، وشاهد آثار الحرب الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وآثار الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) في النصف الأول من القرن العشرين ، ولو اتجه العالم إلى روح الإسلام ، روح الجمع والتوسط بين الحياة الروحية والحياة المادية لتجنب تلك الحروب التي قاسى الغالب والمغلوب ويلاتا ، وقاست الإنسانية فظائعها .

إن الاستعمار هو السبب فيما حدث من حروب وويلات ، وإن

المطامع الاستعمارية الغربية هي التي هددت وتهدد السلام العالمي بالتدمير والخراب . ذلك الاستعمار الغربي الذي كان سببا في تخلف الشرق والشرقيين ، عشرات من السنين . فهؤلاء المستعمرون لصوص يدخلون البلاد الآمنة تجارا في الظاهر ، ومستغلين وقراصنة في الواقع . فقد دخلوا لينهبوا ما فيها من خيرات وغنائم ومواد أولية ، وليبيعوا منتجاتهم ومصنوعاتهم فيها ، ويجردوها من أنواع الأسلحة والذخائر ، وينشروا فيها الجهل والفقر والمرض ، ويشجعوا الفساد الخلقي والمخدرات حتى تضعف . ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها . فالاستعمار سبب التخلف في البلاد الإسلامية . ولو اتحد المسلمون في العالم ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ما استطاع المستعمرون الذين يمتصون دماء الشعوب ، ويتجرون بالحروب - أن يدخلوا البلاد الإسلامية أو يسيطروا عليها في يوم من الأيام ، ولو اتحد العرب ما استطاعت إنجلترا أن تشرد أكثر من مليون من العرب ، وتطردهم من وطنهم ، لتخلق وطنسا لليهود العالم ، يسمى إسرائيل .

المسلمون لم يتأخروا اليوم بسبب دينهم :

إن المسلمين اليوم لم يتأخروا بسبب دينهم ، ولكنهم تأخروا لأنهم لم يحافظوا على دينهم ، فقد دخل الاستعمار في شئونهم ، وسيطر على بلادهم زمنا ليس بالقصير . وقد شهد العلماء والمؤرخون بفضل المسلمين الأول وعلمائهم ، وأدبائهم ،

وغلاستهم ، وحكمتهم . وأطبائهم ، وقادتهم .

وقد كانوا يقودون العالم حينما كانوا محافظين على دينهم ، وأخلاقهم الإسلامية ، كالصدق ، والوفاء بالوعد ، والأمانة في المعاملة ، والإحسان إلى الفقراء ، والدفاع عن الحق ، والعدالة في الحكم ، والعمل لكسب الرزق ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، والتمسك بما أمر الله ، واجتناب ما نهى عنه . فلما تفسر سلوكهم ، وخالفوا المبادئ الإسلامية ضمفوا بعد أن كانوا أقوياء ، وتأخروا بعد أن كانوا قادة العالم . وإن الأمم الناهضة اليوم نهضت وتقدمت لأنها تتخلق بالأخلاق الإسلامية ، ولو أنها لا تدين بالإسلام .

أحمد شوقي يصف الأسباب التي أخرجت المسلمين :

أدعوك من قومي الضعاف لازمة (١)
في مطلبها يلقي عليك رجاء
أدري رسول الله أن نفوسهم
ركبت هواها (٢) والقلوب هواء (٣)
متفككون فما تضم نفوسهم
ثقة ، ولا جبع القلوب صفاء
رتدوا وجرهوا نعيم باطل
ونعيم قوم في القيود بلاء
ظلبوا شريعتك التي نلنا بها
ما لم ينل في (رومة) الفقهاء
مشت الحضارة في سناها (٤) واهتدى
في الدين والدنيا بها السعداء
« إن الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم »

إن الإنسان يولد مستعدا للخير والشر ، ويرث عن أبيه وأجداده ، وأمه وجداته الصفات الجسمية

والعقلية ، أما الصفات الخلقية فتكتسب بالتربية والتنشئة والتعود والتأديب . وقد نادى الإسلام بالمساواة ، وندد بالفقرقة بسبب العنصر ، أو الجنس ، أو اللون ، أو اللغة ، عملا بقول الخالق العادل : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم » ، وقول الرسول الكامل : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعافية » . أي العمل الصالح ، ومحبة السلام .

وإذا قرأنا التاريخ ، وبحثنا أسباب تقدم الأمم ، وأسباب سقوطها وجدنا أن الأسباب روحية وخلقية . فإذا سار الشعب في الطريق المستقيم ، ونبت عوامل الفساد والضلال ، وتوسك بالفضيلة ، وتجنب الرذيلة ساء ونهض وارتفع ، وكان له أثر كبير في العلوم والآداب والحضارة والمدينة ، ولكن إذا انغمس في سبل الرذيلة ، وابتعد عن الفضيلة ، وارتكب الجرائم ، وسار في طرق الشرور والآثام ، وعاش عيشة الترف والإسراف والأثرة وحب النفس ، وتجاهل المبادئ المثالية في الأخلاق — غرق كل الثقة بأن هذا الشعب سيسقط وسيأخر وسيرجع إلى الوراء . وقد صدق العليم الخبير بشئون العالمين في قوله :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٥) » .

فالله لا يسلبهم نعمته إلا إذا تغيروا من الطاعة إلى المعصية .
وقوله : « كذاب (٦) آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله ، فأخذهم الله بقنوبهم » ، إن الله قوى شديد العقاب . ذلك بأن الله لم يك « البقية ص ٦٢ »

أصول
العلاقات
الدولية
في
الإسلام



(١) يختلف الإسلام عن غيره من الأديان السماوية بأنه دعوة عالمية ورسالة للبشرية كافة بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وعالية الإسلام تبدو واضحة لمن يدرس هذا الدين دراسة واعية منصفة ففضلا عن الآيات والأحاديث التي تتحدث عن أن الإسلام جاء للناس جميعا ، وأن معجزته الخالدة ختم الله بها الكتب المنزلة ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والأنبياء ، فإن تعاليم هذا الدين القويم تبرز في جلاء آته رسالة الهدى والخير إلى البشرية كلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد اعتبر الإسلام الناس أمة واحدة لا يتفاضلون بللوانهم وأجناسهم وأحسابهم ، ولكن بالقوى والعمل الصالح ، وبين أنهم سواسية يتمسكون بحقوقهم المشروعة دون تمييز بين فرد وآخر ، وأعلن أن أساس العلاقة بين الناس على تباين السننهم وتباعد ديارهم المحبة والتآلف والتعارف والتعاون على الخير والبر : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم أن الله عليم خبير » (١) .

(٢) وهذه المبادئ التي قررت المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات تعد ثورة ضد العصبية والجنسية والقبلية ، كما تعد أول صيحة عامة في تاريخ العالم تنادي بالأخاء والمحبة وتدعو إلى احترام العدالة والفضيلة ، حتى يعيش الجميع حياة طيبة تلقى بالإنسان الذي كرمه الله وجعله خليفة له في أرضه . وإذا كان الإسلام قد قرر مبدأ المساواة والوحدة بين الناس ، وقضى بهذا على مزاعم العنصرية والطبقية ، فإنه من جهة أخرى قرر مبدأ التوحيد ، ذلك المبدأ الذي حرر الإنسان من كل سلطان غير سلطان الله ، فشمع بعزته وكرامته ، ولم يعد آلة يحركها الطغاة ، فقد أصبحت له شخصيته المستقلة التي ترعى واجبتها قبل أن تسمى وراء حقها ، ومن ثم كان للفرد في المجتمع الإسلامي مكانته ورسالته ، وكان حجر الزاوية في بناء هذا المجتمع ، وقد فطن إلى هذا علماء القانون حين ذهبوا في الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان في سنة ١٩٥٠ إلى أن الفرد هو دعامة الدولة ، وقد سبقهم الإسلام في إعلان هذه الفكرة بكثير من ثلاثة عشر قرنا (٢) .

والإسلام في تعاليمه لم يقف عند حد هذه المبادئ الرائعة ، كما لم يقف عند فرض العبادات ، بل وضع أيضا القواعد والأصول التي تنظم ضروب النشاط الإنساني كله ، وتحمي الحقوق وتمنع الفساد ، لأنها جاءت للناس جميعا ، خاطبت الفطرة الإنسانية وقدرت العقل البشري أرفع تقدير ، ولهذا كله جاءت تعاليم هذا الدين العالمي صالحة لكل زمان وكل مكان . (٣)

٢) وإيمان المسلمين الأوائل الصادق بعالية هذا الدين وما يجب عليهم من الجهاد نحو تبليغ رسالته الى الناس قاطبة — حملوا ارواحهم على اكفهم وانساحوا في الأرض لا يخشون الا الله ، ولا يكرهون احدا على الايمان لانه لا اكراه في الدين .

وفتح الله على المسلمين بلادا كثيرة ، وانتشر الاسلام في فترة وجيزة في بقعة شاسعة من العالم . ونجم عن هذا الفتح العظيم وانتشار الاسلام السريع مشكلات مختلفة بين المسلمين وغيرهم ، وكانت هذه المشكلات — وما زالت — تختلف نوعا وكما باختلاف الزمان ، ولكن اصول معالجتها كما قررها الاسلام لا تختلف ولا تتعارض .

٤) ويجدر قبل الحديث عن هذه الاصول الإشارة الى ما تواضع عليه الفقهاء من تقسيم الديار ثلاثة اقسام : (٤)

دار الاسلام ، ودار العهد ، ودار الحرب ، وهذا التقسيم هو بحكم الواقع لا بحكم الشرع ، لأن الاسلام لم يقيد الدولة الاسلامية بحدود جغرافية او مكانية (٥) ، فهو دعوة عالمية ، ولكن تطبيق احكامه مرتبط بسلطان المسلمين ، فكما اتسمت دار الاسلام اتسع نطاق تطبيق احكام هذا الدين ، ومن ثم اقتضت الظروف أن يكون الاسلام اقليميا حتى نعم دار الاسلام العالم بأسره (٦) . وليس في هذا التقسيم دلالة على أن الاصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو الحرب ، ولا أن الاسلام انتشر بحد السيف كما يزعم كثير من المستعمرين ومن سلك سبيلهم من الباحثين .

٥) والذي لا خلاف عليه بين الفقهاء أن الدار التي تحكم بسلطان المسلمين وهم حمايتها واهل المنعة فيها هي دار الاسلام وأن دار العهد هي دار غير المسلمين الذين ارتبطوا مع المسلمين بعهد (٧) .

وأما تعريف دار الحرب فقد اختلف فيه الفقهاء على رأيين : احدهما : أن دار الحرب هي الدار التي لا يكون فيها السلطان للحاكم المسلم ولا تنفذ فيها احكام الاسلام ، وليس بين المسلمين واهلها عهد ، وهذا رأى أبى يوسف ومحمد وجمهور الفقهاء .

والرأى الثاني يذهب الى أن كون السلطان لغير المسلمين لا يجعل الدار دار حرب ، بل لا بد من تحقق شروط ثلاثة مجتمعة لتصير الدار دار حرب . . وهذه الشروط هي :

أولا : ظهور الاحكام غير الاسلامية .

ثانيا : أن يكون الاقليم متاخما للديار الاسلامية بحيث يتوقع منه الاعتداء على دار الاسلام (٨) .

ثالثا : ألا يأمن المسلم ولا الذمي فيها بحكم الاسلام ، بل يأمن فيها بعهد يعقده . وهذا رأى أبى حنيفة والزيدية وبعض الفقهاء .

قال الكاساني : لا خلاف بين أصحابنا في أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور احكام الاسلام فيها ، واختلفوا في دار الاسلام انها بماذا تصير دار الكفر ، قال أبو حنيفة انها لا تصير دار الكفر الا بثلاثة شرائط : احدهما : ظهور احكام الكفر فيها ، والثاني أن تكون متاخمة لدار الاسلام ، والثالث : ألا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمنا بالأمان الأول وهو أمان المسلمين .

وقال ابو يوسف ومحمد : انها تصير دار الكفر بظهور احكام الكفر فيها (٩) . ويرى بعض المعاصرين (١٠) ان رأى الامام أبى حنيفة أرجح من رأى الصحابين وجمهور الفقهاء ، لانه ناط الحكم على الدار بانها دار حرب بزوال أمن المسلمين فيها ، ويتوقع الاعتداء عليهم منها ، وهذا يوافق الاصل فى فكرة الحروب الإسلامية وانها لنفع الاعتداء ، وحماية الضعفاء ، ونشر الأمن والسلام .

٦) وقد اومت أنفا الى أن الاصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم ، وأن الحروب ليست غاية فى ذاتها ، فعالية الإسلام كما أسلفت قامت على أسس وطيدة من المساواة والتعاون والتآلف والمعادلة وحماية الفضيلة بين الناس جميعا ، وهذه الأسس تفرض أن تكون العلاقات الإنسانية طابعها المودة والتكافل والإخاء ، وتدل على أن الحرب لا تكون مشروعة الا لحماية الأمة من الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون .

وعلاقة المسلمين بغيرهم فى وقت السلم وان تلاقى عند اصول كلية عامة الا انها تختلف اختلافات جزئية ، نظرا لاختلاف احوال غير المسلمين مع المسلمين فغير المسلمين إما أن يكونوا اهل ذمة أو مستأمنين ، وإما أن يكونوا اصحاب عهد أو لا تربطهم بالمسلمين رابطة ما .

وما دام اهل الذمة رعية إسلامية أو جزءا من المجتمع الإسلامى يتمتعون فيه بكل الحقوق التى يتمتع بها المسلمون من الرعاية والحماية والإنصاف والمودة مع ضمان الحرية الدينية لهم (١١) ، وذلك فى مقابل ضريبة مالية يسيرة تعرف بالجزية تجب على الرجال القادرين دون النساء والأطفال — فانهم لهذا خارجون عن نطاق المعاملات الدولية بمفهومها الخاص والعام .

٧) والمستأمنون هم الذين يدخلون البلاد الإسلامية على غير نية الإقامة المستمرة فيها ، ويسمح لهم بذلك لمدة معلومة يجوز تجديدها ، فالقاعدة هى عدم الإقامة الدائمة والا تحول المستأمن الى ندى وأصبح رعية إسلامية (١٢) .

والإسلام وهو دين العدل والحرية والسلام عامل المستأمن الوافد على دياره معاملة كريمة إنسانية لا تعرفها القوانين الوضعية ، فهو مادام محافظا على عقد الأمان أو شروط الأذن بالإقامة المحدودة فى ديار الإسلام له الحرية الكاملة فى التنقل ومباشرة نشاطه الذى وفد من اجله كالتجارة أو الدراسة أو السياحة ، وهو آمن على نفسه وماله ولو كان ينتمى لدولة نشب القتال بينها وبين المسلمين .

ومعنى هذا ان المستأمن الذى يفد الى ديار الإسلام ليس بلازم ان يكون من دولة بينها وبين المسلمين عهد وميثاق ، فقد يكون من دولة لا تربطها بالمسلمين رابطة ما ، أو بينها وبين المسلمين حالة حرب ، وهو ما دام قد اذن له بدخول ديارنا فقد أصبح فى حماية المسلمين مدة أمانته ، وعليهم أن يوفروا له هذه الحماية ولو تعرضوا بسبب ذلك لخوض غمار الحرب ، فلو قال المشركون للمسلمين ادفعوه (أى المستأمن) إلينا والا قاتلناكم وليس بالمسلمين عليهم قوة فليس ينبغى للمسلمين أن يفعلوا ذلك لانه غدر بآمانه (١٣) .

ويذهب جمهور الفقهاء الى أكثر من هذا فيرون أن مال المستأمن الذى اكتسبه فى دار الإسلام يبقى على ملكه ولا تزول عنه ملكيته ولو عساذ الى دار الحرب وقاتل المسلمين (١٤) .

٨) ويتمتع المستامن مع هذا بحريته الدينية ، كاملة ، ولكنه يخضع لاحكام الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالمعاملات المالية سواء اجرت هذه المعاملات بينه وبين مسلم أم بينه وبين نبي أو مستامن مثله .

واما فيما يتعلق بالحدود فقد اختلف فيه الفقهاء ، فيرى بعضهم اقامة جميع الحدود عليه ، ويذهب الامام ابو حنيفة الى انه لا يقام عليه من الحدود الا ما فيه حق العباد (١٥) ، وهو رأى الامام محمد ايضا (١٦) ، وذلك لانا ندبنا الى معاملته معاملة تحمته على الدخول فى دارنا ليرى محاسن الاسلام فيسلم ، وهو بالأمان التزم حقوق العباد ، لان دخوله لقضاء حاجته وهى تحصل بذلك ، فالترم أن ينصفهم كما ينصف ، وان لا يؤذى احدا كما لا يؤذى .

واما حقوق الله فلا تلتزمه لانه لم يلتزمها ، الا ترى انه لم تضرب عليه الجزية ولم يمنع من رجوعه الى دار الحرب (١٧) .

والراى الذى اخذ به جمهور الفقهاء هو عدم التفريق بين حقوق الله وحقوق العباد ، وان المستامن يخضع لاحكام الشريعة فى جميع الحدود ، وهذا الراى اكثر اتساقا مع المبادئ الاسلامية ، لانه يتفق مع ما ينبى أن تكون عليه امور الدولة من منع الفساد ، وكمال السيادة على كل من يقيم فى ربوعها (١٨) .

٩) وقد تحدث الامام محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ والذى

يعد مؤسس القانون الدولى فى العالم كله — عن دار العهد او المودعة (١٩) ، ويعد اول فقيه تحدث عن هذه الدار ، فمن سبقه من الفقهاء والذين كتبوا فى السير كانوا يتحدثون عن دار الاسلام ودار الحرب فقط ، وكانت المهود تترم اما بين المسلمين واهل الذمة الخاضعين لهم ، او بينهم وبين الحربيين والمستامين ، ولكن الامام محمدا (٢٠) تحدث عن دار لا تخضع فى الحكم للمسلمين فاهلها اذن ليسوا باهل ذمة ، ثم هم قد دخلوا مع المسلمين فى عهد مودعة ومسألة ، فخرجوا بهذا عن أن يكونوا حربيين .

ويرى هذا الامام أن المودعة غير جائزة الا فى حالة ضعف المسلمين فان كان بهم قوة فهى ليست جائزة وقد بنى محمد المودعة (٢١) على صلح الحديبية ، فهذا الصلح كان مودعة موقوتة بين النبى صلى الله عليه وسلم ومشركى مكة .

١٠) ومهما تكن الظروف التى تدفع بالمسلمين الى مودعة غيرهم ، فان العلاقة بينهم وبين اهل دار المودعة تقوم على احترام المهود المكتوبة وغير المكتوبة الى اقصى حد ، وعدم الغدر والخيانة مطلقا ، والتعاون المتبادل فى كل شىء الا فيما يكون سببا لتقوية غير المسلمين من السلاح ونحوه فان على المسلمين الا يمكنوا غيرهم مودعين او حربيين من الحصول على ما يزيدهم قوة وباسا (٢٢)

ويفصل الامام محمد فى نقة ما يجب على المسلمين من رعاية العهد والتحرز عن الغدر مع المودعين ما تحسن الإشارة الى طرف منه فى شىء من الاجمال ، لما له من دلالة على سمو النظرة الاسلامية فى معاملة غير المسلمين ، وايضا على التفكير الانسانى الذى سبق به محمد فقهاء القانون الدولى حتى فى العصر الحديث .

١١) يرى هذا الامام أن المودعين اذا شرطوا فى اصل المودعة انهم ان

غدروا وقتلوا رهن المسلمين فعاء رهنهم لنا حلال ، ثم قتلوا هم رهننا ، فان دعاء رهنهم لا يحل لنا (٢٣) .

ومع ان قوله تعالى « وان عاقبتهم فمما قبوا بمثل ما عوقبتهم به » (٢٤) قد يبيح قتل رهن المودعين اذا قتلوا رهننا بذهب محمد الى ان رهن المودعين اصبحوا بدخولهم دارنا ذمة ، لهم حرمة المسلمين في حق الدعاء الا بحق ، وهم لم يقتلوا بانفسهم احدا من رهننا وعلى الحاكم المسلم ان ينتصف لهؤلاء المظلومين ممن اعتدوا عليهم . وكما لا يجوز قتل الرهن في هذه الحالة لا تجوز الاساءة الى الرسل في كل الحالات ، فهم في حماية المسلمين الى ان يعودوا الى بلادهم ، وان كان هناك خلاف بين الفقهاء حول مدى خضوع الرسل الى الاحكام الاسلامية في مجال العقوبات لكنهم يتفقون حول خضوعهم لاحكام المعاملات الاسلامية (٢٥)

وما دامت المودعة جائزة في حالة ضعف المسلمين دون قوتهم ، فانهم ان اتسوا من انفسهم القوة ، وبدا لهم نقض العهد فكيف يتم هذا النقض بينهم وبين المودعين ، وهو نقض ليست الغاية منه الرغبة في الحرب لذاتها ، ولا السعى وراء مغنم مادي ولكن لأداء الرسالة المقدسة التي ناطها الله بهم ..

يقول الامام محمد : ولو بدا للامام بعد المودعة ان القتال خير فبعت الى ملكهم ينبذ اليه فقد صار ذلك نقضا . ثم يستطرد فيقول : ولكن لا ينبغي للمسلمين ان يغيروا عليهم وعلى اطراف مملكتهم حتى يمضي من الوقت مقدار ما بيعت الملك الى ذلك الموضع من ينذرهم ، لانا نعلم ان ملكهم بعدما وصل الخبر اليه لا يتمكن من ابطال ذلك الى اطراف مملكته الا بمدة فلا يتم التنبذ في حقهم حتى تمضي تلك المدة .

وبعد مضي المدة لايأس بالاغارة عليهم وان لم يعلم المسلمون ان الخبر اتاهم لانه ليس على المسلمين اعلامهم ، ولكن ان علم المسلمون يقينا ان القوم لم ياتهم خبر فالمستحب لهم ان لا يغيروا عليهم حتى يعلموهم ، لان هذه تشبيهة بالخديعة ، وكما يحق على المسلمين التحرز عن الخديعة يحق عليهم التحرز عما يشبه الخديعة (٢٦) .

فهل عرفت القوانين الدولية الوضعية مثل هذه المبادئ السامية وهل يراعى انسان المدنية المعاصرة في حروبه المدمرة شيئا منها ، او انه يفخر بإيادى الضعفاء والأبرياء ، واخذ الأمنين على غرة خديعة ومكرا ؟ .

فاذا كان نقض العهد من قبل الاعداء فلا يأس على المسلمين ان يغيروا على اطرافهم وان علموا ان الخبر لم يصل اليهم ، ويستدرك الامام محمد قائلا : ومع هذا فان احاط العلم لاهل ناحية من المسلمين بان ذلك الخبر لم يصل الى اهل ناحيتهم فليس ينبغي ان يقاتلوهم حتى ينبذوا اليهم ، وهذا على سبيل الاستحسان (٢٧) .

ذروة في التفكير الانساني الخالص الذي يستمد منابعه من الايمان الصحيح والخلق الكامل والورع الصادق والضمير الحي ، والعدالة الرحيمة ، والأخوة الانسانية الكريمة ، ما احوج البشرية اليوم اليه — فانها على ما حققت في مجال العلم والحضارة — فقيرة أشد فقرالى هذا اللون من التفكير الذي يعيد اليها انسانيته وامنها واستقرارها .

(١٢) وأما غير المودعين الذين ليست بينهم وبين المسلمين حرب فعلية ولا تربطهم بالمسلمين رابطة ما ، فانهم ماداموا لا يؤذون المسلمين ولا يحرضون على

أبداً ، فإن العلاقة التي تربط المسلمين بهم تقوم على نفس الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين المسلمين والموادعين من الإحسان إليهم والبر بهم وتبادل المنافع معهم إلا فيما يكسبهم قوة ومنعة ، وإذا أردنا السير إليهم لتبليغهم دعوة الإسلام فلا بد من أعلامهم وعدم الاعتداء عليهم أو الغدر بهم وأخذهم على غرة (٢٨) .
(للبحث صلة)

- (١) الآية : ١٣ في سورة الحجرات .
- (٢) انظر الإسلام والعلاقات الدولية للدكتور مصطفى الحفاوى (مجلة المسلمون - المجلد ٢ من السنة الثالثة ص ٢٦٨) .
- (٣) راجع العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٩ وما بعدها .
- (٤) انظر نظرية الحرب في الإسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٠ ، ويضيف بعض الفقهاء داراً رابعة ، وهي دار البقي ، يكون الأمر فيها للقباء ، وهم كما عرفهم الزيلعي : الخارجون على الإمام الحق بغير الحق . راجع تبیین الحقائق ج ٢ ص ٢٩٢ .
- (٥) انظر الإسلام والعلاقات الدولية ، للدكتور مصطفى الحفاوى .
- (٦) انظر من الفقه الجنائي المقارن ، للمستشار أحمد موانى ، ص ٩٠ .
- (٧) نظرية الحرب في الإسلام ص ٣٠ ، والعلاقات الدولية في الإسلام ، ص : ٥٣ .
- (٨) ان اشتراط المخافة لتوقع الاعتداء أصبح في عصرنا غير ذي موضوع ، فقد تطورت أسلحة الحروب ولم يعد القتال في حاجة الى مخافة (وانظر المصدر السابق ص ٥٤) وجاء في تفسير الحار ان دار الحرب بلاد غير المسلمين وان لم يحاربوا ، وكانت القاعدة ان كل من لم يعاهدنا على السلم يعد محارباً (تفسير الحار ج ١ ص ٤٠٩) .
- (٩) انظر بدائع الصنائع ج ٧ ص ١٣٠ .
- (١٠) انظر العلاقات الدولية في الإسلام ص : ٥٤ .
- (١١) انظر : في حقوق اهل الذمة في الإسلام الفراج للإمام أبي يوسف ، ص : ١٤٣ وما بعدها ، وارشاد الاسماء الى احكام الحكم بين اهل الذمة للشيخ محمد بغيت الطحيمي .
- (١٢) انظر العلاقات الدولية في الإسلام ص ٦٨ .
- (١٣) شرح السير الكبير ج ٣ ص ٢٠٠ .
- (١٤) العلاقات الدولية في الإسلام ٦٨ ، وانظر المغنى لابن قدامة الحنبلى ج ١ ص ٤٢٧ .
- (١٥) شرح السير الكبير ج ١ ص ١٠٨ .
- (١٦) انظر الاصل ورقة ٩٥ والمبسوط ج ٩ ص ٥٥ .
- (١٧) انظر تبیین الحقائق ج ٢ ص ١٨٢ .
- (١٨) العلاقات الدولية في الإسلام ، ص : ٧١ .
- (١٩) انظر شرح المسير الصغير ، المبسوط ج ١٠ ص ٨٥ ، وباب المواعدة في شرح السير الكبير ج ١ وما بعدها .
- (٢٠) انظر العلاقات الدولية ، ص : ٥٦ .
- (٢١) شرح السير الكبير ج ١ ص ٦١ .
- (٢٢) انظر شرح السير الكبير ج ٢ ص ٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٧٦ .
- (٢٣) شرح السير ج ٢ ص ٤٢ .
- (٢٤) الآية : ١٢٦ في سورة النحل .
- (٢٥) انظر : العلاقات الدولية في الإسلام ، ص : ٧٢ .
- (٢٦) شرح المسير الكبير ج ١ ص ٧ .
- (٢٧) شرح السير الكبير ، ج ١ ص ٨ .
- (٢٨) المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٩ ، و ج ١ ص ١٢٢ ، ٢٢٣ .

فى جوع وقحط سبع سنين ، بسبب ما كانوا يقومون به من إيذاء الرسول وأصحابه .

فبالعقيدة والايمان ، والخلق المثالى ، والتضحية فى سبيل المصلحة العامة تنهض الامم وتنسو . وبالتسرف والنعيم واتباع الشهوات والملذات ، وضعف الروح . وغساد الاخلاق ، وانتشار حب الذات بين الافراد تتأخر الامم وتعود الى الوراء ، فتستعبد ، ويحتلها غيرها من الامم القوية بروحها وإيثارها وإيمانها وعملها وتقواها .

وما يؤسف له أن الروح المادى قد سيطر على العالم كله ، لا على العالم الإسلامى وحده . ولكى يسود العالم الإسلامى يجب أن يفكر فى الناحية الروحية كما يفكر فى الناحية المادية ، ويعمل لآخرته كما يعمل لدنيائه ، ويترك حياة الترف والنعيم والملاذ والشهوات ، ويفكر فى المصلحة العامة لا فى مصلحته وحدها ، ويجعل حياة الرسول والخلفاء الراشدين قدوة له فى حياته .

مضيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وأن الله سميع عليم (٧) » .

أى أن حال هؤلاء فى الكفر واستحقاق العذاب كحال آل فرعون والذين من قبلهم ، كفروا بآيات الله ، فمات بهم الله على ما ارتكبوا من الذنوب . وإن ذلك التعذيب للكفرة بسبب أن الله لم يك مضيراً نعمة انعمها على قوم ، مبدلاً لها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم ، كتبديل كفار مكة إطماعهم من جوع ، وأمنهم من خوف — بالكفر ، والصد عن سبيل الله ، وقتال المؤمنين .

وقوله : « وضرب الله مثلاً قرية (٨) كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً (٩) من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون (١٠) » . والمعنى أن الله ضرب مثلاً لكل قوم انعم الله عليهم بكثير من النعم فأبطرتهم وكفروا بالله ، فانتقم منهم بأهل مكة ، فقد كانوا آمنين لا يغير عليهم أحد ، يأتيهم رزقهم واسعاً من كل مكان . فكفروا بأنعم الله ، وكذبوا النبى ، فأذاقهم الله صنوف البلاء ، وجعلهم

(١) استعماله فى الحال والشان والمادة .

(٧) سورة الأنفال : ٥٢ — ٥٣ .

(٨) هى مكة ، وأفراد أهلها .

(٩) رغداً : واسعاً .

(١٠) سورة الفحل : ١١٢ .

(١١) الأزمة : الشدة والقحط .

(١٢) اتبعت بيول نفسها .

(١٣) لا تفكر بعقولها .

(١٤) السنا : الضوء .

(١٥) سورة الرعد : ١١ .

(١٦) وأصل الداب : الدوام ، ثم غلب

البعث الروحاني والجسماني سبين الفلاسفة والغزالي



(١) تقديم :

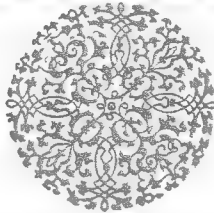
قد لا اكون مبالغا في القول اذا ذهبت الى ان هذه المشكلة من اكثر المشكلات صعوبة واهمية في تاريخ الفكر الفلسفي الاسلامي . . ويرجع ذلك فيما نرى الى اسباب عدة اهمها كثرة الآراء التي تتضارب فيما بينها تضاربا شديدا بحيث يعسر الوصول الى الحق وسط هذا الاختلاط والتضارب والاختلاف بمعنى ان من يحاول دراسة هذه المشكلة سيجد لزاما عليه بحثها من خلال زوايا وأبعاد متقاربة تارة ومتباعدة تارة أخرى ، حتى يستطيع تحديد موقفه ازاء هذه الآراء التي تدور حولها . .

ولكننا سنحاول من جانبنا بيان أهم معالم هذه المشكلة مختارين موقفين منعارضين لنرى كيف يدور الحوار بين أصحاب هذين الموقفين بغية الوصول الى الحقيقة ، ملتين بادىء ذي بدء أننا سنلتزم بالعرض الموضوعي . تاركين النقد الذاتي لمناسبة أخرى .

ولكي نتوصل الى تحديد معالم هذه المشكلة الكبرى . نجد انه يجدر بنا بيان الآراء والاتجاهات حول هذه المشكلة . وهي التي يمكن حصرها في خمسة . لا يمتنا منها في هذه المقالة الا اتجاهين فقط هما اتجاه الفلاسفة الالهيين من جهة واتجاه الغزالي من جهة أخرى . بعد ذلك ندرس وجهة نظر المؤيدين للبعث الجسماني والروحاني وادلثهم التي استندوا اليها ، ثم آراء المؤيدين للبعث الروحاني فقط دون البعث الجسماني . فاذا قرعنا من ذلك عرضنا لرد الغزالي وهو الذي اعتقد بالبعث الروحاني والجسماني . على موقف الفلاسفة الالهيين على وجه العموم والذين ابدوا البعث الروحاني فقط .

(٢) الاتجاهات والآراء حول هذه المشكلة :

قلنا منذ قليل ان الاتجاهات حول هذه المشكلة يمكن حصرها في خمسة (١):
الاتجاه الاول هو قول بعض اهل الجدل بأن الثابت هو المعاد الجسماني



الدكتور محمد عساف الصراقي

نقط . وأن المعاد ليس الا لهذا البدن . فهم اذن قد ذهبوا الى نفى وجود النفس الناطقة المجردة . واستدلوا على رأيهم بالقول بأن البدن وحده هو الحيوان ، وهو الانسان بحياة وانسانية خلقتا فيه . وهما عرضان . والموت هو عدمهما فيه وضد لهما . وفي النشأة الثانية يخلق في هذا البدن حياة انسانية بعد تفتت هذا الجسم . ويصير ذلك الانسان بعينه حيا .

الاتجاه الثاني هو القائل بثبوت المعاد الروحي فقط . وهذا ما ذهب اليه اكثر الفلاسفة الالهيين الذين رأوا أن الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة المجردة وأن البدن آلة لهذه النفس تستعمله وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها . فالنفس الناطقة لا تقبل الفناء اى العدم بعد وجودها . لانها بسيطة . وهى موجودة بالفعل .

الاتجاه الثالث هو القائل بثبوت المعادين الروحاني والجسماني معا . وهو قول سائر المسلمين وقول الغزالي ايضا . كما سنرى بعد قليل . والقائلون بهذا النوع من المعاد يجعلون الحياة بوجود النفس للبدن والموت بمفارقة النفس للبدن . ويردون في النشأة الثانية . النفس في البدن بعينه الذي كانت فيه . فالنفس اذا ردت للبدن كان للمثاب والمعاقب جميعا ثواب وعقاب بحسب البدن والنفس جميعا . فكان للمثاب لذات بدنية من المحسوسات ولذات نفسية من السرور . فهم قد قالوا : دل العقل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله تعالى ومحبه . وأن سعادة الاجسام في إدراك المحسوسات . والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن ؛ لأن الانسان مع استغراقه في تجلي انوار عالم الغيب . لا يمكنه الالتفات الى شيء من اللذات الجسمانية . ومع استغراقه في استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية . وانما تعذر هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة في هذا العالم . فاذا فارقت بالموت — واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت . فاذا اعيدت الى الإبدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الأمرين ، ولا شبهة في أن هذه الحالة هي الغاية القصوى من مراتب السعادات (٢) .

هذا هو الاتجاه الثالث ، أما الاتجاه الرابع فيتمثل في قول قدماء الفلاسفة

الطبيعيين الذين ذهبوا الى عدم ثبوت شيء من المعاد الجسماني والروحاني .
فالنفس عندهم هي المزاج . وإذا مات الإنسان فقد عدمت النفس ، واعادة
المعدوم محال .

والإتجاه الخامس والأخير . نستطيع ان نقول عنه انه يمثل الإتجاه —
الذي يعبر عن موقف الشك . أي التوقف عن الإدلاء برأى من الآراء التي سبق
ذكرها ، والقطع به . وقد ذهب الى ذلك جالينوس في قوله : لم يتبين لى أن
النفس هل هي المزاج فتعتمد عند الموت ويستحيل إعادتها ، او هي جوهر باق
بعد فساد البدن فيمكن — المعاد ..

(٢) البعث الجسماني وأدلة الشرع والعقل :

وقد عبرت الكثرة الغالبة من الباحثين في هذا المجال والمؤيدين
للبعث الجسماني عن ضرورة الجمع بين المعاد الجسماني والاعتراف بصدق
آيات القرآن .. دليل هذا قول الرازي مثلا : اعلم أن الجمع بين انكار المعاد
الجسماني ، وبين الاقرار بأن القرآن حق ، متعذر . لأن من خاض في علم
التفسير ، علم أن ورود هذه المسألة في القرآن لا يقبل التأويل (٣) .
ونود أن نشير من جانبنا السي أن الغالبين بالبعث الجسماني يستندون
اساسا الى فكرة الامكان . وهذا الامكان يقوم في النهاية على أدلة الشرع .
وهم يستدلون بعدة أدلة :

منها أن عودة ذلك البدن في نفسه ممكن . لان اعادة المعدوم إما أن
تكون ممكنة او لا تكون ممكنة . فان كانت ممكنة ، فالمقصود حاصل ، وان لم
تكن ممكنة ، فان الدليل العقلي قد دل على أن الاجسام تقبل العدم . ولم يسدل
على أنها تعمد لا محالة . فلما ثبت بالنقل المتواتر من دين الانبياء أن القول
بحشر الاجساد حق ، وثبت أن الاجسام لو عدمت امتنع اعادتها . كان ذلك
دليلا قاطعا على أن الله لا يعدم الاجساد بل يبعثها بأعيانها . وإذا كانت باقية
بأعيانها ، فهي قابلة للحياة والعقل والقدرة . وحينئذ يصح القول بأن عودة ذلك
البدن بعينه ممكنة (٤) ..

ومنها أن الله لما كان عالما بجميع الجزئيات ، فانه قادر على تمييز اجزاء
بدن هذا الانسان عن اجزاء بدن الانسان الآخر (٥) ..
ومنها أن الله قادر على كل الممكنات ، وعودة ذلك البدن في نفسه يدخل
ضمن فكرة الامكان ، فالمسودة ممكنة . (٦) ..

وإذا تساعطنا عن الآيات القرآنية التي يستدل بها القائلون بالبعث
الجسماني على آرائهم هذه التي تقوم على فكرة الامكان — كما قلنا — ، وجننا
أن هناك الكثير من هذه الآيات التي تجدهم قد استدلوا بها في معرض دفاعهم
عن آرائهم منها : « قال من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول
مرة » (٧) ففى هذا استدلال بالابتداء على الاعادة . ومنها : « ما خلکم ولا بعثکم
إلا كنفس واحدة » (٨) . ومنها : « أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر
على أن يخلق مثلهم » (٩) . وهذا هو المعول عليه في الحجاج حول جواز
اعادة الخلق ، لأن الله حكم على الشيء بحكم مثله ، وجعل سبيل النفي ومجرأه
مجرى نظيره (١٠) ..

ومن هذا كله يتوصلون إلى ضرورة ثبوت المعاد الجسماني ، وأنه امر
معلوم بالضرورة ، لأن القول دل عليه في آيات كثيرة . وإذا قيل إنه ممكن ،

فمسبب ذلك أن المراد من الاعادة جمع الاجزاء المتفرقة ، وذلك جسائز بالضرورة (١١) .

وإذا كان هذا يعد بالضرورة اساسا طريقا شرعيا لأنه يستند — كما رأينا — على نصوص الآيات القرآنية . فانهم لم يكتفوا بذلك . بل ذهبوا إلى أن هناك طريقا عقليا لإثبات أقوالهم . وإذا تعمقنا في مفهوم هذا الطريق الذي يلجأون إليه ، استطعنا أن نقول أن هذا الطريق يتطلم في وجهين :

أ — نرى في الدنيا مطيعا وعاصيا ومحسنا ومسيئا . ونرى أن المطيع يموت من غير ثواب يصل إليه في الدنيا . والعاصي يموت من غير عقاب يصل إليه في الدنيا . فان لم يكن حشر ونشر يصل فيه الثواب إلى المحسن ، والعقاب إلى المسيء ، لكانت هذه الحياة الدينية عبثا (١٢) . فإذا كان الله قد وعد بالثواب ووعد بالعقاب . فيجب القول بعود الناس ليحصل الوفاء بوعده ووعده (١٣) .

ب — خلق الله الخلق إما للراحة وإما للتعب والالام ولا للراحة ولا للتعب . وليس من الجائز أن يقال أنه خلقهم للتعب والالام : لأن هذا لا يليق بالمحسن . وغير جائز أن يقال خلقهم للراحة ولا للتعب والالام . لأنهم حال كونهم معدومين كان هذا المعنى حاصلا . فدل على أنه تعالى خلقهم للراحة (١٤) .

هذه الراحة — غيما يقول غر الدين الرازي — إما أن تكون في هذا العالم أو عالم آخر . ولا يجوز القول بأنها في هذا العالم ، لأن ما يظنه الإنسان لذة في هذا العالم ليس بلذة ، بل هو دفع للألم . وإذا افترضنا أن في هذا العالم لذة جسمانية ، فانها قليلة . وما يغلب هو الألم أو دفع الألم . يقول الرازي أيضا مؤيدا فكرته : « فليس من الحكمة القضاء الحيوان في بحر الآلام والمكروهات لأجل أن يعود إليه ذرة من اللذات . فلما ثبت أن الحيوان إنما خلق لأجل اللذة والراحة ، وثبت أن ذلك المقصود غير حاصل في هذا العالم . وجب القطع بوجود عالم آخر بعد هذا العالم يحصل فيه هذا المقصود . وهو الدار الآخرة (١٥) .

(٤) ابن سينا وموقف الفلاسفة :

هذا عن موقف بعض المتكلمين الذين لم يروا أي مانع في الجمع بين المعاد الجسماني والمعاد الروحاني . أما الفلاسفة فيعترضون على ما يذهب إليه القائلون بهذا النوع من المعاد .

وإذا كنا لا نستطيع في حدود النطاق المرسوم لهذه المقالة . أن نستعرض حجج كل فيلسوف من فلاسفة الإسلام ، فاننا سنقتصر على بيان موقف ابن سينا ، لشهرة هذا الفيلسوف أولا ، ولأنه الفيلسوف الذي ركز عليه الفزالي هجومه ثانيا .

يذهب ابن سينا إلى القول بأن الإنسان ليس انسانا بمادته ، بل بصورته الموجودة في مادته وتكون الاعمال الإنسانية صادرة عنه لوجود صورته في مادة . فإذا بطلت صورته عن مادته ، وعادت مادته ترابا أو شيئا آخر من العناصر ، فقد بطل ذلك الإنسان بعينه (١٦) . فإذا خلقنا في هذه المسألة بعينها صورة أنسانية جديدة ، حدث عنها انسان آخر لا ذلك الانسان . يقول ابن سينا : « أن الموجود في هذا الثاني من الأول مادته لا صورته .

ولم يكن هوما هو ، ولا محمودا ولا مذموما ، ولا مستحقا لعقاب أو ثواب بمادته بل بصورته ، وبأنه انسان لا بأنه تراب ، فيثبت ان الانسان المتاب والمعاقب ليس ذلك الانسان المحسن والمسييء بعينه ، بل انسان آخر مشارك له فى مادته التى كانت له . وهكذا يؤدى هذا النوع من البعث — أى البعث الجسمانى — إلى اثابة غير المحسن وعقاب غير المسيء » (١٧) . .

وهؤلاء الفلاسفة ومنهم ابن سينا يذهبون الى ان الشريعة قد لجأت الى ضرب الأمثلة المحسوسة فى هذا المجال . ومرد ذلك انها ضرورية بالنسبة للجههور . يقول ابن سينا « فالشريعة أفضل قصدها الجزء العلى فى جنسه . . فانه اذا لم يمثل لهم — أى الجمهور — الثواب والعقاب الحقيقى البعيد عن الأنعام ، بما يظهر لهم ، لم يرغبوا ولم يرهبوا . وما لم يبعث أديانهم لم يترشحوا للأمرين . فوجب فى حكم السياسة الشرعية ، تقرير أمر المعاد والحساب والثواب والعقاب على هذه الوجوه . . . فاضطر واضعو الشرائع فى الترعيب فى الثواب والترهيب بالعقاب الى القول بأن السعادة الأخروية باللذة الحسية والشقاوة الأخروية بالألم الحسى » (١٨) . .

بيد أن العقل — فيما يرى ابن سينا — لا يمكنه الوقوف عند حدود المحسوسات ، بل لا بد له من الصعود الى البرهان ، طالما ان هناك من السعادة والشقاء ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى . وهى السعادة والشقاء التى للأنفس . يقول ابن سينا ملخصا وموضحا ذلك كله ومعبرا عن موقف الفلاسفة الإلهيين على وجه العموم : « فالمعاد هو منقول من الشرع . ولا سبيل إلى اثباته إلا عن طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث . وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج الى أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها نبينا (صلى الله عليه وسلم . حال السعادة والشقاء التى بحسب البدن . ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاء الثابتان بالقياس للثان للأنفس . وان كانت الأوهام فىنا تقصر عن تصورهما الآن » (١٩) . .

كما يذهب ابن سينا إلى أن الحكماء الإلهيين رغبتهم فى إصابة السعادة الروحية أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية . وعلى هذا الأساس فسر الفلاسفة المعاد على أساس أنه سعادة للنفس أو شقاء لها . فالنفس بعد الموت إما شقية وإما سعيدة ، وهذا هو المعاد .

(٥) نقد الغزالي للفلاسفة وتكفيره لهم :

لعلنا عرفنا الآن كيف يدور الحوار بين المعترفين بالبعث الجسمانى من جانب والفلاسفة من جانب آخر . أما الغزالي فنقد ذهب إلى نقد الفلاسفة فى قولهم بأن النفس الانسانية جوهر روحانى قائم بنفسه لا يتحيز ، وليس بجسم ولا منطبق على جسم ، ولا هو متصل بالبدن ولا هو منفصل عنه ، وأن النفوس الانسانية يستحيل عليها العدم بعد وجودها ، وانها سرمدية لا يتصور فناؤها . . فهو يقول (٢٠) : إن من المسائل التى خالف فيها الفلاسفة كافة المسلمين قولهم : ان الأحساد لا تحترق ، وانها المتاب والمعاقب هى الأرواح المجردة . والموتوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية . وقد صدقوا فى إثبات الروحانية فانها كائنة أيضا . ولكنهم كذبوا فى انكار الجسمانية ، وكفروا بالشريعة فيما

نطقوا به . اذ ان الحشر والنشر ورد بهما الشرع — وهو حق ، والتصديق بهما واجب ، لانه في العقل ممكن ، ومعناه الاعادة بعد الانشاء ، وذلك مقدور الله تعالى كابتداء الانشاء ، والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول .

هذا ما يقوله الغزالي في نقد الفلاسفة ذاهبا الى تكفيرهم . ولكن يجب ان نأخذ في اعتبارنا ان الغزالي يفرق بين درجات انكار . أي التفرقة بين انكار المعاد اصلا ، وبين اثبات المعاد على نحو عقلي مع نفي الآلام واللذات الحسية الجسمانية كما رأينا عند الفلاسفة كابن سينا . فالانكار الاول يراه الغزالي زندقة مطلقة ، أما الإثبات بالنوع الثاني فبإزاء الغزالي زندقة مفيدة . يقول الغزالي : أما الزندقة المطلقة فهي ان ننكر اصل المعاد عقليا وحسيا وتنكسر الصانع للعالم اصلا ورأسا . وأما اثبات المعاد بنوع عقلي مع نفي الآلام واللذات الحسية ، واثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل العلوم . فهي زندقة مفيدة بنوع اعتراف بصديق الانبياء وظاهر ظني ..

ومن هنا ذهب الغزالي الى انه من الضروري 'طال انكار الفلاسفة لبعث الأجساد ورد الأرواح الى الابدان ووجود النار الجسمانية ووجود الجنة والحدور العين وسائر ما وعد به الناس - وقولهم ان ذلك أمثلة ضربت لعموم الخلق لتفهيم ثواب وعقاب روحانيين هما أعلى رتبة من الجسمانيين .

وإذا أردنا ان نستوضح رأى الغزالي في هذه النقطة الأخيرة ، فلا بد ان نرجع الى كيفية تبرير الفلاسفة لآرائهم . ان الفلاسفة يقولون بان اللذات العقلية اشرف من اللذات الجسمانية لسببين يعرضهما الغزالي ايضا :

أولهما : ان حال الملائكة اشرف من حال السباع والخنازير والبهائم . وليست لها اللذات الجسمية كالجماع والاكل والشرب . وانما لها لذة الشعور بكمالها وجمالها الذي خصت به انفسها في اطلاعها على حقائق الاشياء وقربها من الله في الصفات .

ثانيهما : ان الإنسان قد يؤثر اللذات العقلية على الجسمية . وبهذا تكون اللذات العقلية الاخوية افضل من اللذات الجسمية والنبوية .

ولكن الغزالي . وان كان لا ينكر ان في الآخرة أنواعا من اللذات اعظم من المحسوسات ولا ينكر بقاء النفس عند مفارقة البدن ، الا انه — وهو رجل الدين — ينكر ذلك بالشرع ويتسائل عن المانع من تحقق الجمع بين السعادتين . الروحية والجسمية وكذا الشقاوة . انه يرى ان اللذات المحسوسة الموجودة في الجنان من اكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها .

وإذا اعترض معترض ، وهو يقصد الفلاسفة : بان ما ورد في الشرع إنما هو أمثال ضربت — لتقريب الفكرة الى الخلق وكذلك ما ورد من آيات التشبيه . وأخباره ، إنما هي أمثال لتفهيم الخلق ، وان الصفات الالهية مقدسة عما يتخلله عوام الناس ، فان الغزالي يرد قائلا : إنهما يفترقان من وجهين :

الاول : الألفاظ الواردة في التشبيه تحتل التأويل على عادة العرب في الاستعارة . أما ما ورد في وصف الجنة والنار فانه بلغ مبلغا لا يحتمل التأويل . الثاني : أدلة العقول دلت على استحالة المكان والجهة والصورة وغير ذلك ، فوجب التأويل بأدلة العقول . أما ما وعد الله به من أمور الآخرة فليس محالا في قدرة الله ، فيجب اجراؤه على ظاهر الكلام . بل على فحواه الذي هو صريح به ..

ويتابع الغزالي مناقشته للفلاسفة وهو في معرض الرد عليهم ونقد آرائهم

فى هذا المجال ، غيرى أن للفلاسفة مسلكان فيما يختص باستحالة بعث
الأجسام . ويتقسم المسلك الأول وهو تقدير العود إلى البدن إلى ثلاثة أقسام .
فأما أن يقال . إن الإنسان عبارة عن البدن ، والحياة التى فيه هى عرض
قائم به ، كما ذهب إلى ذلك بعض المتكلمين ، وأما النفس الذى هو قائم بنفسه
ومدير للجسم ، فلا وجود لها . ومعنى الموت انقطاع الحياة . ومعنى المعاد
إعادة الله البدن الذى انعدم وإعادة الحياة التى انعدمت .
وأما أن يقال : أن النفس موجودة وتبقى بعد الموت ، ولكن يرد البدن الأول
بجميع تلك الأجزاء بعينها ..
وأما أن يقال : ترد النفس إلى بدن ، سواء كان من تلك الأجزاء بعينها
أو من غيرها ويكون العائد ذلك الإنسان من حيث أن النفس تلك النفس ،
فأما المادة فلا التفات إليها ، إذ الإنسان ليس إنسانا بها ، أى بالسيادة بل
بالنفس ..

وهذه الأقسام الثلاثة كلها باطلية فى رأى الفلاسفة . فالأول ظاهر
البطلان ، لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن . فإن استئناف خلقهما أيجادا لمثل
ما كان لا يعنى ما كان ..
والقسم الثانى محال ، إذ أن بدن الميت يستحيل ترابا أو تأكله الديدان
والطيور ويستحيل رمادا وبخارا وهواء ..
والقسم الثالث محال عند الفلاسفة من وجهين . محال لأن المواد القابلة
للكون والفساد محصورة فى مقعر فلك القمر لا يمكن عليها مزيد . وهى متناهية
والنفس المرافقة للأبدان غير متناهية فلا تفى بها . ومحال لأن التراب لا يقبل
تدبير النفس ما بقى ترابا ، بل لا بد أن تمتزج العناصر امتزاجا يضاهى
امتزاج المنطقة ولا يكون إنسانا إلا إذا انقسمت أعضاء بدنه إلى اللحم والعظام
والأضلاع ..

هذا هو القسم الثالث الذى يراه الفلاسفة محالا من وجهين . أما الغزالى
فيؤيده مخالفا بذلك هؤلاء الفلاسفة فهو يقول أن الآيات القرآنية وما ورد من
الأخبار عن عذاب القبر وغير ذلك قد دل على البعث والنشور بعده . وهو بعث
البدن . وذلك ممكن بردها — أى النفس — إلى أى بدن كان . سواء كان من مادة
البدن الأول أو من غيره أو من مادة استؤنف خلقها . فانه هو بنفسه لا يبدنه إذ
تتبدل عليه أجزاء البدن من الصغر إلى الكبر بالهزال والسمن وتبدل الغذاء ،
وهو ذلك الإنسان بعينه فهذا مقدور لله ..

وهكذا يرد الغزالى على المسلك الأول من مسالك الفلاسفة بوجوهه
الثلاثة . وإذا كنا لا نستطيع أن نذكر هنا مختلف وجوه رده على هؤلاء الفلاسفة
فإننا نشير على القراء بالرجوع إلى أوسع كتبه التى تعرضت لهذه المسألة ،
مسألة الرد على الفلاسفة ، ونعنى به كتاب تهافت الفلاسفة . ونكتفى بأن نقول
إن بقية ردوده على المسلك الأول لا تخرج كثيرا عما سبق أن ذكرناه . معتمدين
على فكرة الامكان من جهة ، وعلى صريح آيات القرآن من جهة أخرى .
بقى أمامنا لاتمام موضوع هذه المقالة ، نقطة أخيرة هى المسلك الثانى
للفلاسفة ورد الغزالى عليه . الفلاسفة — فيما يحكى الغزالى عنهم — يرون
أنه ليس فى المقدور أن يقلب الحديد ثوبا متسوجا بحيث تنعم به الأجسام ، إلا
بأن تتحلل أجزاء الحديد بأسباب تستولى على الحديد فتحلله إلى أبسط
العناصر ثم تجتمع العناصر وتدار فى أطوار الخلق إلى أن تكتسب

صورة القطن ثم صورة الغزل وهكذا الى آخر المراحل . وعلى هذا القياس ينظر الفلاسفة الى الانسان المبعوث المحشور . فلو كان بدن من حجر أو ياقوت أو در أو تراب محض ، لم يكن انسانا . بل لا يتصور أن يكون انسانا إلا أن يكون متشكلا بالشكل المخصوص مركبا من العظام والعروق واللحم والغضاريف . وعلى هذا لا يمكن أن يتجدد بدن انسان لترد النفس اليه إلا بهذه الأمور . هذا ما يذهب اليه الفلاسفة . وتود أن نشير الى أن مرد ذهابهم الى هذا القول هو ايمانهم بالتلازم الضروري بين الاسباب ومسبباتها ومحاولتهم رد كل شيء الى أسبابه التي تدرك بالعقل .

بيد أن الغزالي يذهب الى تنفيذ رأيهم الذي ذكرناه آنفا وينكره ونستطيع أن نقول أن هذا التنفيذ من جانبه يقوم على دحضه للتلازم الضروري بين الاسباب ومسبباتها . دليل هذا أنه يرى أن الترقى في هذه الأطوار يحصل بمجرد القدرة من غير واسطة أو بسبب من الاسباب إن هذا كله ممكن عنده ، أى عند الغزالي . ولعل القراء يعرفون موقفه من السببية أى بحثه للعلاقة بين الاسباب ومسبباتها وكيف أنه انتهى الى نقد موقف الفلاسفة الذين يؤمنون بالتلازم والارتباط الضروري بين الاسباب ومسبباتها . وهو هنا يفعل نفس الشيء . فهو يرى أنه ليس من الضروري الاعتقاد بتلازم الاسباب . ويقول إن في خزانة المقدورات عجائب وغرائب لم يطلع عليها ، ينكرها من يظن أن لا وجود إلا لما شاهده كما ينكر السحر والمعجزات والكرامات ، وهى ثابتة بالاتفاق ، بأسباب غريبة لا يطلع عليها . بل يحاول الغزالي أن يقيم أسبابا جديدة ووجودا آخر غير ما نعهده . فهو يقول :

(فليس يتفكر المنكر للبعث أنه من أين عرف انحصار اسباب الوجود فيما شاهده ، ولم يبعد أن يكون في إحياء الأبدان منهاج غير ما شاهده . وقد ورد في بعض الاخبار أنه يفرر الأرض في وقت البعث مطر قطراته تشبه النطف وتختلط بالتراب . فأى بعد في أن يكون في الاسباب الالهية أمر يشبه ذلك ، ونحن لا نطلع عليه ، ويقتضى ذلك انبعاث الأجساد واستعدادها لقبول النفوس المحشورة .) تهافت الفلاسفة ص (٢٨٩) .

ولا جدال في أن محاولة الغزالي هذه تقوم — كما سبق أن قلنا منذ قليل — على فكرة الجواز والامكان ونفى الضرورة المسببية طالما أنه يتصور قدرة الله مطلقة غير مقيدة بالنظام الضروري الثابت كما يتصور هذه القدرة الالهية بأنها التي تستطيع فعل أى شيء سواء في حياتنا الدنيوية أو في حياتنا في العالم الآخرى . .

إنها محاولة عميقة من جانب الغزالي ، ومجهود كبير قام به في هذا المجال ولسنا هنا — كما قلنا — في معرض مناقشته فيما انتهى اليه بل بيان الأسس التي تقوم عليها آراؤه وهذا هو ما يهم المشتغلين بالفكر الفلسفى الإسلامى . أما عن تطور محاولته هذه ومصيرها وأثرها وتأثيرها فحين جاء بعد من فلاسفة ومفكرين حتى أياها الحاضرة ، فإن هذا جانب آخر نرجو أن يكون موضوعا لمقالة أخرى . .

نموذج من رعاية الصدر الأول

الأمير
الحسين
بن علي

للشيخ محمد الصادق عرجون

ولد أبو سعيد الحسن بن يسار البصري سنة احدى وثلاثين للهجرة ، وهي
مبتدا المرحلة التي انتقل فيها زمام الدولة الاسلامية من عدل الخلافة الراشدة
الى جور الملك العضوض ، كما اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في
الحديث الذي رواه اصحاب السنن من قول النبي صلى الله عليه وسلم « الخلافة
سعدى ثلاثون ، ثم تكون ملكا عضوضا » .

ومضى هذا الحديث اشارة الى ما وقع من الفتن التي اجتاحت المجتمع
الاسلامى ، وغرقت كلمة المسلمين فى ظل هذا الملك العضوض فلم تجتمع بعد
ذلك ..

كان يسار أبو الحسن البصرى من سبى نيسان ، ثم صار مولى لزيد بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه . وكانت أم الحسن (خيرة) جارية لأم المؤمنين السيدة الجليلة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

ففى بيت النبوة نشأ الحسن مع أمه فى ظل أب عاش فى كنف رجل من أفضل وأعلم الأنصار ، وفى هذا الجو الروحانى شب الحسن وترعرع . حتى كان شابا أريبا . يسمع ويرى . نعلم ويعقل . وهو لم يح الذكاء . مصتول الفطرة . مشرق الروح . نير العقل . طاهر القلب . يرى آثار النبوة نترأى أمام عينيه . غنتطبع فى نفسه خلقا كريما ، وتمثل فى حركاته عملا وسلوكا . ويسمع من الأجلاء ما يروى من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف حاله وعيشه ، وسمته ، وأدبه ، وأخلاقه فى بيته ومع سائر أصحابه ، فيحفظ ما يسمع . ويتأمل فى معانى ما يسمع . ويتفقه فى حقائقها . ويحليها فى نفسه صورا حية ، ويجعل من شرائعها عملا واقعا فى حياته ، فيعمل بما علم ، ويتعمق فيها عقل منها .

فنشأة الحسن منذ مهدد نشأة أدب رفيع . وتهذيب عليم . ودين محكم . وهدى مستقيم وخلق عظيم .

استقبل الحسن رحمه الله فى طبيعة حياته ألوانا من الفتن القاسية التى ألمت بالعالم الإسلامى . وفى مقدمتها الفتنة العثمانية . وهى تشتعل لها مدمرا . أحرق أمن المجتمع وقضى على سلامه ، وأذاب طمأنينته واستقراره ، ودفعه الى الفوضى والاضطراب دفعا أسلمه الى فرقة قصمت طهره . فلم تستقم له قنأة بعدها ، ولم تجتمع له كلمة . فرقة تنادى بها الشيطان فخب فيها وأوضع . وتوالت المنافقون الى أتونها يزكون أواره . ونساراع الى تورها أخاث اليهود . من بقايا الغناء الإنسانى الذين نستروا بالنظاير بالإسلام ، ليكيدوا للإسلام ، ووثب الى صدرها الطامحون الطامعون من شباب لم ينسئ ارواحهم بأنوار النبوة ولم تشرب قلوبهم حب الإيمان . ولم تخالط شاشته أفئدتهم ، وهم فتية استبعدتهم الدنيا بزخارفها . فجعلوا سلطانها أكبر همهم . وأعظم غاياتهم . وأجل مقاصدهم . استهدفوا من حياتهم هذا السلطان الدنيوى . فغاضوا للوصول اليه الدماء . واقتحموا فى سبيله جماجم الأرياء ، أولئك الذين أضلهم الله ، وأضل بهم . معاثوا فى أرض السلام والإسلام غسادا فكانوا من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى حياتهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

راى أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى كل هذا غارضا نفسه ، والبسه ثوبا من الحزن الكظيم لم يخلعه حتى مضى لسبيله الى الله تعالى .

فهو قد شهد الخليفة الراشد ذا النورين عثمان بن عفان ، بى محبته . محبه الإسلام كله ، وراى صبره على جهد البلاء ، ومصابرته لحاملى لواء الفتنة ، وسمع عثمان يخطب الناس ويحدثهم . فروى عنه ما سمع . وكان له يوم قتل عثمان رضى الله عنه خمس عشرة سنة ، وهى سن تبدأ فيها فورة الشبباب وقوته ، وتطلعه الى آفاق الآمال السعيدة ، وهى سن تبدأ فيها مقومات الشخصية تتمايز عناصرها ، وتأخذ الى الحياة سمتها الذى تعيش به فيها ، وهى سن يبدأ فيها العقل تصحيح موازين الأمور ، وتبدأ فيها القوى الفكرية متحفزة لالتقاط صور الحقائق والمعانى فى هذه الحياة .

فى هذه السن المبكرة روى الحسن عن عديد من الصحابة ، كان من أجلهم عثمان رضى الله عنه ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعمران بن

حصين ، وسمرة بن جندب ، وعمرو بن تغلب ، ورأى الحسن — كما يقول أبو نعيم فى الحلية على لسان الحسن — سبعين بدريا ، صفوة الانسانية ، رأيهم فى سميتهم وسلوكهم ، وشاهد عن عيان زهدهم فى الدنيا ، وعزوفهم عن زخارفها ، وعرف عن قرب شجاعتهم فى الحق ، وعلمهم وتعبدهم ، وأيثارهم لله على من سواه ، فتخلق بأخلاقهم ، والتزم فى حياته سميتهم ، وسلك طريقهم ، حتى بلغ فى التابعين ذروة الفضل ، واقتعد منام الكرام فى الاسلام ، وكان يدعى (سيد التابعين) ، يعظمه العلماء ، ويجله الأمراء ، ويهايه الولاة ، تخشى كلمته ، ويحترمون رأيه ، ويقدر عليه وفضله كبار الصحابة الذين أدركهم ، وتلمذ لهم ، فكان أنس بن مالك رضى الله عنه اذا سئل قال لسائله : اسأل مولانا الحسن ، فيقال له : يا أبا حمزة نسالك فتقول : اسألوا مولانا الحسن ، فيقول أنس رضى الله عنه تقديرا لعلم الحسن وفضله ، وثقة فى نقله ورأيه : ان الحسن سمع وسعنا ، وحفظ ونسنا .

وفى تقدير فضل الحسن يقول على بن زيد : لو أن الحسن أدرك الصحابة وهو رجل لاحتاجوا الى رأيه . وكان عامر الشعبي يظهر اكباره واجلاله للحسن بمظاهر من الاكبار والاحلال لا يصنعها مع أحد غيره ، فقال له ابنه مرة : يا أبت انى أراك تفعل بهذا الشيخ من الاكبار ما لم أرك تفعله مع أحد قط ، فقال الشعبي : يا بنى أدركت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أر أحدا أشبه بهم من هذا الشيخ .

كان الحسن رحمه الله أفصح أهل عصره وأخطبهم ، اذا تكلم أبان عن مقاصده أبلغ إبانة ، واذا خطب قال من يسمعه : لو وضع له منبر فى عكاظ ما استمع الناس معه لقس بن ساعده ، ولا لأكنم بن صيفى ، واذا وعظ وجفت الثلوب ، وذرفت العيون ، لم يناعه براعة البيان وروعة الفصاحة فى عصره سوى طاغية عصره أخيشف ثقيف الحجاج الثقفى ، قيل لأبى عمرو بن العلاء سيد القراء ، وإمام اللغة : من أخطب الناس ؟ فقال : الحجاج بن يوسف ، وصاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، يعنى الحسن ، وكان الحسن يتعمم بعمامة سوداء ، اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم — كما جاء فى بعض روايات تعممه ووصف عمامته ، روى مسلم عن عمرو بن حريث قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه ، وفى حديث جابر بن عبد الله عند مسلم قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعليه عمامة سوداء .

وكان الحسن رحمه الله أحرص الناس على التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأحواله ، يترسم ذلك فيما يراه من حياة أصحابه الذين راوه وأطالوا عشرته وتخلقوا بأخلاقه .

ومن لطائف ما يذكر أن العلماء والرواة الذين ترجموا للحسن قالوا : إن سبب براعته الفائقة فى الفصاحة وروعة البيان ، أن أمه (خيرة) كانت — كما ذكرنا — جارية للسيدة أم المؤمنين ، أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فأرسلتها سيدتها أم المؤمنين فى حاجة لها ، وكان الحسن اذ ذاك طفلا رضيعا فى مهده ، فبكى بكاء شديدا ، حرك فى قلب أم المؤمنين رقة ورحمة ، فأخذته ووضعته فى حجرها لتسكته ، وألقته ثديها ، فدر عليه فشرب منه ، فمن تلك الرضعة التى شرب من أم المؤمنين كانت فصاحته وبراعته البيانية .

ولباب ما يشير اليه الرواة فى هذه القصة أن الحسن رحمه الله أدركته

نفحة من نفحات النبوة التي نهد في كنفها ، وامتزجت بجسمه قطرة او قطرات من غيثها في لبن أم المؤمنين رضى الله عنها .

وقد نشأ الحسن رحمه الله مهذب النفس ، حكيم اللسان ، عليم القلب ، حصيف العقل ، زكى الفؤاد ، مرهف الحس ، تقيا نقياً ، ورعاً زاهداً في الدنيا وزخارفها ، ينأى عنها ، ولا يزاحم أهلها في طلبها ، قوالاً بالحق في شجاعة لا تتهور ، عزوفاً عن المظاهر ، عابياً للدنيا والمتكالبين عليها ، لا يصفها إلا بما يرضعها تحت اقدام المتقين ، مشغولاً عنها بالآخرة ، يخاف فتنتها ، ويخشى غرورها وسطوتها ، يحذر نفسه من شرورها ، اذا خلى بنفسه وعظها وخوفها بأس الله وبطشه ، واذا كان مع الناس كان فيهم من شدة حزنه وخوفه من عذاب الله ، حتى كان النار لم تخلق الا له .

روى ان الشعبي قال لحميد ، وهم بمكة : انى أحب ان تخلق لى الحسن ، فنقل حميد رغبة الشعبي الى الحسن ، وكان حميد مع الحسن في بيت واحد ، فأجاب الحسن رغبة الشعبي ، وقال لحميد : اذا شاء ، فجاء الشعبي الى البيت وحميد واقف على الباب ، فقال للشعبي : ادخل عليه ، فانه في البيت وحده ، قال الشعبي : ان أحب الى أن تدخل معي ، قال حميد : فدخلنا ، فاذا الحسن واقف قبالة القبلة ، وهو يقول مخاطباً نفسه : يا ابن آدم لم تكن فكونت ، وسألت فأعطيت ، وسئلت فمنعت - فبئس ما صنعت ، ثم يذهب ويجيء وهو يردد هذه الكلمات ، ولم يشعر بوجود الشعبي وحميد ، ولم يلتفت اليهما ، فقال الشعبي لحميد : يا هذا انصرف بنا ، فان هذا الشيخ في غير ما نحن فيه .

كان الإمام أبو جعفر حميد بن الحسن بن على بن الحسين ، اذا ذكر عنده الحسن قال : الذى يشبه كلامه كلام الانبياء .. ؟

ويصف خالد بن صفوان - وكان منطيقاً وصافاً - الحسن ، وقد سأله عنه مسلمة بن عبد الملك فقال له : يا خالد اخبرنى عن حسن أهل البصرة ؟ قال خالد بن صفوان : أصلح الله الأمير ، أخبرك عنه بعلم ، انا جاره الى جنبه ، وجليسه في مجلسه ، وأعلم من قبله به ، هو أشبه الناس سريرة بعلانية ، وأشبههم قولاً بفعل ، ان قعد على أمر قام به ، وان قام على أمر قعد عليه ، وان أمر بأمر كان أعمل الناس به ، وان نهى عن شيء كان أترك الناس له ، رأيته مستغنياً عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين اليه .

قال مسلمة بن عبد الملك : حسبك يا خالد !! كيف يضل قوم هذا غيهم ؟ يقول الرواة والاختاريون من أهل الصدق والثقة : عاش الحسن ما عاش غلم ير ضاحكا ، لا يراه الناس الا حزيناً ، وما كان أحد أطول حزناً منه ، وكان يقول : يحق لمن يعلم ان الموت مورده ، وان الساعة موعده ، وأن القيام بين يدي الله مشهده أن يطول حزنه .

وكان رحمه الله يقول وهو يتمثل احوال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياتهم التي عاشوها وشهدوها : نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال : لا أقبل منكم شيئاً ، ويحك يا ابن آدم !! هل لك بمحاربة الله طاقة ؟ انه من عصي الله فقد حاربه . ولقد أدركت سبعين بدرية أكثر لباسهم الصوف ، ولو رأيتوهم لقلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا : ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، ولقد رأيت أقواماً كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ، ولقد رأيت أقواماً يسمى أحدهم وما يجد عنده الا قوتا ، فيقول : لا أجعل هذا كله في

بطنى ، لأجل أن بعضه لله عز وجل ، فيتصدق ببعضه ، وإن كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه .

قيل للحسن رحمه الله مرة : صف لنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت . والهدى والصدق ، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد ، ومشاهم بالتواضع ، ومنطقهم بالعمل ، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق ، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى ، واستقاداتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا ، وأعطائهم الحق من أنفسهم . ظننت هواجرهم ، ونحلت أجسامهم ، واستخفوا بسخط المخلوقين طلبا لرضا الخالق ، لم يفرطوا في غضب ، ولم يحيفوا في جور ، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن ، شغلوا الألسن بالذكر ، بذلوا دماءهم لله حين استنصرهم . وبذلوا أموالهم حين استقرضهم ، حسنت أخلاقهم . وهانت مؤنهم . وكفاهم اليسير من دنياهم لأخرتهم .

كان الحسن رحمه الله لا يدنو من الأمراء والولاة . ولا يأتي أبوابهم ، وكان هؤلاء الأمراء والولاة يستنصحوه لما يعلمون من بحافيه عن الدنيا وأخلاصه دينه لله تعالى .

وقد كانت بينه وبين عمر بن عبد العزيز مودة ومكاتبات ومراسلات ، تفيض نصحا ، وأخلاصا وإرشادا ، فقد كتب الحسن إلى عمر لما استخلف : أما بعد فإن الدنيا دار مخيفة ، أنا أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة ، وأعلم أن صرعتها ليست كالصرعة ، من أكرمها يهن . ولها في كل حين قتيل . فكن منها بأمر المؤمنين كالمدأوى جرحه ، يصير على شدة الدواء خيفة طول البلاء . والسلام . يرسم الحسن صورة حياة لأخلاق المؤمن يلتقط معالمها من أخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : إن من أخلاق المؤمن قوة في دين . وإيمان في يقين . وحلم في علم وعلم في حلم . وتحمل في فاقة . وتصدق في غنى ، وأنصافا في استقامة ، لا يحيف على من يفيض ، ولا يائس في مساعدة من يجب ، لا يهمز ولا يلزم ، ولا يلهو ولا يلعب ، ولا يتبع ما ليس له ، ولا بجحد الحق الذي عليه ، ولا يتجاوز في العذر ، ولا يشمت بفجعة غيره ، قوله شفاء ، وصبره ثقى ، وسكوته فكرة ، ونظره عبرة ، يخاطب العلماء ليعلم ، أن أحسن استبشر ، وأن أساء استغفر ، وأن عتب استعقب ، وأن سفه عليه حلم ، وأن ظلم صبر ، وقور في الملا . شكور في الخلا ، قانع برزقه ، حامد في الرخاء ، صابر على البلاء ، أن جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين . هكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وأنها غير بكم غيرتم . « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

كان عزوف الحسن عن الدنيا ، وأعراضه عن المظاهر من أقوى أخلاقه التي جعلته لا يبالي بكلمة الحق في وجه من بدعوه دينه أن يجابه بها ، مهما كانت مرارتها ، ومهما كانت مكانة من يقولها له ، ومهما كانت النتائج التي تترتب عليها .

أرسل إليه عمر بن هبيرة لما ولي العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، وأرسل إلى الشعبي معه ، وأمر لهما ببیت يعد لراحتهما ، فنزلا فيه ، وأقاما شهرا ، ثم جاءهما ابن هبيرة يتوكأ على عصا ، فسلم عليهما معظما لهما ، ثم قال لهما : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ إلى كتبنا أعرف أن في إنفاذها الهلكة ، فإن أطعته عصيت الله ، وإن عصيته أطعت الله عز وجل ، فهل تريأ لى في مبايعة فرجا . . ؟

فقال الحسن للشعبي : يا ابا عمرو اجب الامير ، فتكلم الشعبي فأنحط في
حبل ابن هبيرة ، فقال ابن هبيرة : ما تقول انت يا ابا سعيد . . ؟

فقال الحسن : ايها الامير ، قد قال الشعبي ما سمعت ، فقال ابن هبيرة :
ما تقول انت يا ابا سعيد ؟ فقال الحسن : اقول : يا عمر بن هبيرة ، يوشك ان
ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى ، غظ غليظ ، لا يعصى الله ما امره ،
فيخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ، يا عمر بن هبيرة . ان تق الله
يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل .
يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن من ان ينظر الله اليك على اتبع ما نعمل في طاعة
يزيد بن عبد الملك نظرة مقت ، فيعلق بها باب المغفرة دونك . يا عمر بن هبيرة .
لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد
ادبارا من اقبالكم عليها وهي مدبرة ، يا عمر بن هبيرة ، اني أخوفك مقاما خوفاً
الله « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد » يا عمر بن هبيرة : ان تك مع الله
تعالى في طاعته كنك بائقة يزيد بن عبد الملك ، وان تك مع يزيد بن عبد الملك
على معاصي الله وكلك الله اليه .

فبكى عمر بن هبيرة ، وقام عنهما بعيرته ، فلما كان الغد أرسل اليهما
باذنهما وجوانزهما وكثر منه ما كان للحسن . وكان في جائزته للشعبي بعض
الاقتار ، فخرج الشعبي الى المسجد فقال : يا ايها الناس من استطاع منكم ان
يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل ، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن منه
شيئا فجعلته ، ولكني أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه . ثم قال الشعبي :
سفسفنا فسفسف لنا .

وكان الحسن من ألزم الناس للمسجد ، يدرس ، ويعلم ، ويعظ ، وإذا
سئل في درسه اجاب بما يعلم انه الحق ، وكان منافع السياسة يتتبعونه في
دروسه . ويدفعون اليه بالسائلين ، يسألونه في الفتنة ، ورايه فيها ، وللحسن
رأى في ذلك وقف عنده ، فلم يك مع الثائرين بالسلاح في وجه الولاة الظلمة .
ولم يك مع هؤلاء الولاة يبرر ظلمهم ويدافع عنهم خشية سطوتهم ، ولكنه اعتزل
السياسة ، وشغل بالعلم ، فاذا جاعته السياسة تمشى على السنة المناغقين
جيبها بكلمة الحق ، لا يبالى على من وقعت ، ولا من أصابت .

سأله رجل على مسمع من جماعة أهل الشام ، وهم حضـائـن الدولة
المروانية ، فقال : يا ابا سعيد ، ما تقول في الفتن . مثل فتنة يزيد بن المهـلب .
وابن الاشعث ، وكنا ممن خرج بالسلاح على المروانيين ، فقال الحسن في
سراحة الحق الذي يعتقد : لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، فقال الرجل :
ولا مع امير المؤمنين يا ابا سعيد . . ؟

وهذا القائل لعله اراد احراج الحسن ، او كان مدسوسا عليه ، فغضب
الحسن لهذا النفاق السياسي ، ثم حرك يده حركات تعجبية . تشعر القائل
والمستمعين ان الحسن ادرك الهدف الخبيث الذي يرمى اليه هذا القائل ، ثم
قال : ولا مع امير المؤمنين يا ابا سعيد ؟ نعم ، ولا مع امير المؤمنين .

وكان الحسن رحمه الله لا يرى الخروج والثورة على الولاة والامراء الظلمة
الذين استقر لهم الحكم في الدولة ، ويقول : انما هم نقمة ، فلا تقابلوا نقمة
الله بالسيف ، وكان يوصي بالصبر حتى تنفجر الفمة .
ولم يكن الحسن بعيدا عن بطش الحجاج ، ولكن الله تعالى حفظه منه ،

فلم تلحقه يده ، يقول الامام ايوب السخيتاني : ان الحجاج اراد قتل الحسن ، وعزم عليه مرارا ، فعصمه الله منه ، ويقول ميمون بن مهران : بعث الحجاج مرة الى الحسن وقد هم أن يبطش به ، فلما قام الحسن بين يدي الحجاج ، قال له : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فابن هم ؟ قال : ماتوا ، ثم نكس الحجاج رأسه ، وخرج الحسن لم يمسسه منه سوء .
وقد تولى الحسن القضاء حسبة ، لم يأخذ عليه اجرا ، ولكنه لم يلبث فيه طويلا ، لانه رأى أن منصب القضاء يحتاج الى تفرغ يبعده عن جمهور الشعب ، وكان المجتهد الاسلامي في ذلك الوقت احوج الى سماع صوت الحسن في دروسه ومواعظه وتوجيهاته منه الى أحكامه القضائية ، لأن مكانه في القضاء لا يعدم من يقوم فيه مقامه ، ولكن مكانه في حلقات الدرس والتوجيه والارشاد لا يسد فيه مسده أحد .

ولما اعتزل القضاء ألح على عمره وقرينه الألعى ، ذى الفراسة الصادقة اياس بن معاوية أن يتولى القضاء خلفا عنه ، لانه — في رأى الحسن — اصلح من يكون له عليها وذكاء وفضلا .

وتفرغ الحسن للدراسة ، يدرس الحديث والسنة رواية ودراية ، وكان كثير المراسيل ، يرويها لثقته وثقة الناس به ، فإذا سئل عن روى ذلك أجاب .

ذكر ابن سعد في الطبقات أن الحسن قال في مجلسه : كان موسى نبى الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل إلا مستترا ، فقال له عبد الله بن بريدة : يا أبا سعيد ، ممن سمعت هذا ؟ فقال : سمعته من أبى هريرة .

والحدثون ونقده الرجال لم يجعلوا مراسيل الحسن في ميزان مع مراسيل سعيد بن المسيب ورجحوا عليها مراسيل سعيد .

وكان الحسن قواما بتفسير القرآن الكريم رواية عن الصحابة ، ودراية مستنبطة برأيه وعلمه وفهمه ، يروى عنه أبو جعفر الطبرى وسائر المفسرين القدامى ، ممن اقتصر على تفسير القرآن بالمتقول .

ومما روى عنه من تفسير الفهم والدراية تفسيره آيات خواتيم سورة الفرقان التي تصف عباد الرحمن ، قال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » والهون في كلام العرب اللين والسكينة والوقار « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » حلماء لا يجهلون ، وان جهل عليهم حلموا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بها يسمعون ، ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم سجدا لربهم ، تجرى دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم ، لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشعوا نهارهم « والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم أن عذابها كان غراما » .

وكل شيء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام ، انما الغرام اللازم له ما دامت السموات والأرض ، صدق القوم والله الذى لا اله الا هو ، فعملوا ، وأنتم تتمنون ، فبايكم وهذه الأمانى رحمكم الله ، فان الله لم يعط عبدا بأمنيته خيرا فى الدنيا والآخرة .

وكان عصر الحسن رحمه الله مستتبنا لبذور الفرق الاسلامية ، التي بدأت جذورها في أرض الاسلام تنفلق عن أغصان التفرق في بعض نواحي العقيدة ، وفي كثير من مسائل الفروع ، فقد ظهر أوائل الشيعة بعقيدتهم في الإمامة ، وربطوها بالايمان ، وظهرت معهم طلائع الخوارج بمقالاتهم التي كفروا

بها سائر طوائف المسلمين ، وقد أشجوا الدولة بحروبهم ، وكانوا شجاً في خلق الخلافة العلوية ، حتى انتهت بقتلهم أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم تحولوا الى حروب مدمرة مع الأمويين .
وكان الحسن رحمه الله على علم بمقالات هؤلاء وهؤلاء ، ولكنه لم يكن يعرض لها بجدل الا اذا سئل فانه يجيب بحجته وعلمه الذي ينبثق من الكتاب والسنة ..

وقد جرى في مجلسه الكلام عن مرتكب الكبيرة - هل هو مؤمن أو غير مؤمن ، فقرر الحسن أنه مؤمن غاسق ، غير مخلد في النار ، وابتدر لخالفته تلميذه واصل بن عطاء ، وقرر أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلي الايمان والكفر ، فلا هو مؤمن ، ولا هو كافر ، وهو مخلد في النار ، وهذه المقالة في حقيقتها عين مقالة الخوارج الذين قالوا بكفر مرتكب الكبيرة والاختلاف بين المقاتلين لفظي ، لأن الخلود في النار لا يكون جزاء الا على الكفر ، ولكن واصل جبن عن اطلاق لفظ الكفر كما أطلقه الخوارج ، واعتزل واصل حلقة استاذة ، وعقد لنفسه حلقة ، وتبعه عمرو بن عبيد وآخرون ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل ، ومن ثم جاء اسم المعتزلة على أصحاب واصل ومن نحا نحوهم .

دخل رجل المسجد على حلقة الحسن ، فقال له : « يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر ، يخرج به من الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الامة ، فكيف نحكم لنا في ذلك اعتقاداً » فتفكر الحسن في الامر ، وابتدر واصل الجواب قبله فقال : انا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، ولا مؤمن ولا كافر .

ويرى بعض الباحثين من القدامى أن مذهب الحسن كان معروفاً مشهوراً ، وانما أسرع واصل باجابهته على سؤال السائل وهو غير موجه اليه ليرد على مذهب الحسن ، ويقرر له مذهباً في المسألة .

ولقد كان لمكانة الحسن العلمية ومقامه في الامة اثر بعيد المدى في ادعاء الفرق له ، وانتمائهم اليه ، فالثيعة يحسبونه من ائمتهم ، والمعتزلة يعتدون به أشد الاعتداد ، وينظّمونه في سلوكهم ، والخوارج لا يتورعون عن ضمه الى صفوفهم ، والصوفية ينتهون بأسانيدهم اليه ، واهل السنة والحديث يعدونه رأسهم .

واذا كانت هذه صورة موجزة لهذه الشخصية العظيمة في الاسلام ، فحسبها أنها رسمت خطوطها العريضة في اطار الحقائق التاريخية التي توضح أن الحسن البصري كان أكبر شخصية معبرة عن حياة عصره ، وأعظم داعية من دعاة الاسلام بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أضواء على التصوف في

ماليزيا

- المتصوفون العرب الحضارمة هم الذين نشروا الاسلام مع غيرهم في شبه جزيرة الملايو .
- كان سلطان « ملقا » الذي اعتنق الاسلام منصوفا زاهدا دعا للاسلام بقوة وشجاعة
- حمزة فنصوري في الملايو يشبه « ابن العربي المتصوف »

من المهم قبل الحديث عن الصوفية في ماليزيا أن نعطى فكرة للقارئ عن ماليزيا . هذا البلد المجاهد المسلم والذي يلعب دورا فعالا في الحركة الاسلامية في جنوب شرق آسيا .

الموقع الجغرافي : تقع ماليزيا في الجنوب الشرقي لآسيا . وهي تتكون من ماليزيا الغربية والتي كانت تعرف فيما قبل « بشبه جزيرة الملايو » بولاياتها الاحدى عشرة . وهي ولايات كلنتان وترانجانو وبرليس وقدر في أقصى الشمال ثم بهانج في الشرق (الساحل الشرقي لشبه الجزيرة : وملاكا وسلانجور ونجري سمبلان وجوهدر في الساحل الغربي وجزيرة بنانج والتي أخذ اسمها من اسم شجرة الأريكة وهو من الفصيلة النخلية .



للدكتور : جمال حماد

ثم ماليزيا الشرقية وتتكون من ولاية صباح وسراواك في جزيرة بورنيو أما بقية جزيرة بورنيو فهي تنبع أندونيسيا ما عدا « بروناي » وهي محمية بريطانية تقع بين ولاية صباح وسراواك — وحاكمها سلطان مسلم — وسكانها مسلمون وتدفق أخيرا البترول في أرضها .
يفصل ماليزيا الغربية عن ماليزيا الشرقية بحر الصين الجنوبي — وهي تقع قريبا من خط الاستواء ، وتتوسط الموقع بين الهند والصين .
يحدها شمالا بلاد السيام (أو تايلاند) ويحدها جنوبا جمهورية أندونيسيا . وتشترك مع جزيرة سومطرة (في مضيق ملقا) والذي ينحدر السيد تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا بالاشتراك مع سوهارتو رئيس جمهورية أندونيسيا في جعله مضيقا كهينة قناة السويس بمصر ، وسيحقق ذلك الى جانب المكاسب المادية وهي كبيرة — سيحقق وزنا سياسيا جديدا لدولتين مسلمتين يضاف الى وزنها السياسي .

السكان : يبلغ عدد سكان ماليزيا تقريبا ١٠ مليون نسمة منهم ٥ مليون



« الصورة أثناء زيارة الملك فيصل للماليزيا في يونيو سنة ١٩٧٠ وفي استقباله اليانج دي براتون
أجونج السلطان عبد الحليم معتم شاه ملك ماليزيا .

ملاوي مسلم وهم أصل سكان البلاد (وكلهم مسلمون ويرجع اسلامهم الى القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر ميلادي ولو انه يصعب التحديد) .
ويوجد كذلك ٣ مليون صيني ومليون هندي وباكستاني — وعدة آلاف من اجناس اخرى .

ويعتقد ان الجنس الملاوي وهم اقدم جنس وطئت قدماء ارض الملايو —
يقال انه تقدم من منطقة يقال لها اليونان في الصين
وبعضهم هاجر من اندونيسيا من جزيرة سومطرة وسيليبس والمذهب
السائد هنا هو المذهب الشافعي .

نظام الحكم : نظام الحكم هنا ديموقراطي — على القمة ملك دستوري
يقال له (اليانج دي برتوان أجونج) أي حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وهو
يختار من بين السلاطين للولايات المختلفة كل خمس سنوات .

ويصدر الملك قراراته عن طريق توصيات مجلس الوزراء والبرلمان . ورئيس
مجلس الوزراء لا بد ان يكون ماليزي الجنسية وعضوا بمجلس الامة .
الاحزاب : هناك احزاب سياسية كثيرة اهمها :

١ — الحزب الائتلافي Alliance Party وهو حزب الغلبية الحاكم

ويتكون من ثلاثة احزاب هي الحزب الوطني الاتحادي الملاوي U.H.N.O.

والحزب الصيني الماليزي M.C.A. والحزب الهندي الماليزي M.I.C.

ورئيس الحزب هو السيد تون عبد الرزاق رئيس مجلس الوزراء الحالي .

٢ — الحزب الملاوي الاسلامي Pan Malayan Islamic ورئيسه هو

السيد داتو محمد عصري وسكرتير الحزب هو السيد ابو بكر حمزة
وهذا الحزب يحكم ولاية كلانتان . وله اعضاء في المجالس النيابية المختلفة
للولايات — وكذلك له اعضاء في مجلس الامة الفدرالي الذي (يقولون عنه ديوان

الرعية Dewan Ra'ayat



صوره لاحتفال المولد النبوى الشريف فى ولاية جوهور بهارو احدى ولايات ماليزيا وهم يستمعون لخطاب ولى العهد تنكو مافونا جوهور - وفى انتظار الاشتراك فى المظاهرة الاسلامية السنوية والتي تطوف شوارع العاصمة .

- ٣ - ثم هناك حزب المثقفين Gerakan Party وهو الحزب الحاكم فى جزيرة بنانج .
- ٤ - حزب التقدم الشعبى Peoples Prosresive Party
- ٥ - حزب العمل Labour Party
- ٦ - الحزب الوطنى Panty Negar
- وهناك احزاب اخرى فى شبه جزيرة الملايو وصباح وسراواك .
- الاقتصاد :** مع أن المسلمين يكونون ٥١ ٪ من السكان الا ان نسبة الاقتصاد ورأس المال الذى بأيديهم لا يتعدى ٥ ٪ ٩٥ ٪ من الاقتصاد بيد المسيحيين . .
- وكان لا بد من حل لهذه المعادلة الصعبة تركزت فى اتجاهات كثيرة منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :
- أولا :** تكونت مجالس اقتصادية اسلامية تبحث بالتفصيل والاحصائيات كيف يدفعون بالملاويين المسلمين الى ميدان الاقتصاد والتجارة . ومحاولة توضيح النظام الاقتصادى الاسلامى لجمهور المسلمين . وحل ما يصادفهم من مشاكل فى هذا الشأن . ويشترك فى هذه المجالس اساتذة الجامعة والاقتصاديون المسلمون . مع متابعة تامة ودقيقة لوضع المجتمع وبنائه الاقتصادى ومكان الملاويين فيه .
- ثانيا :** عملت الحكومة على تشجيع المبدعين من الملاويين بالسكنى فى مستعمرات هيئة اصلاح الزراعى - التى تعطيههم قطعة ارض وتمدهم بالخبرة الزراعية وتبنى لهم مساكن ومدارس وغيرها .
- ثالثا :** أنشأت مجلسا يقدم منحا لأصحاب البلد الاصليين وهم الملاويون يقال له مجلس « مارا » (مجلس الثقة الشعبى) Maglis Amara Ra'ayat



فى نهاية الاحفالات يقفون جميعا ويرفعون أيديهم ضارعين الى الله بالدعاء « الصورة فى مرمبان ويتوسطهم رئيس وزراء مرمبان رائد منصور بن عثمان » .

ومهمته تقديم منح دراسية فى الجامعة والمدارس فى الداخل والخارج للملاويين المسلمين . وغير ذلك كثير لا مجال لتفصيله فى هذا البحث .

ننتقل بعد ذلك الى موضوعنا الرئيسى وهو (التصوف فى ماليزيا)

ولست هناك دراسة عميقة مستفيضة — ولكن بين يدينا كتاب الفسه السيد (نجيب العطاس) وأصدره معهد أبحاث الدراسات الملاوية الاجتماعية بسنغافورة . والسيد نجيب العطاس هو أحد الحضارة العرب الذين وفد أجدادهم هنا فى هذه المنطقة وغيرها ينشرون دين الله الخالد ويدعون الى كلمة التوحيد ويعمل حاليا أستاذا بقسم الدراسات الملاوية بكلية الآداب جامعة الملايو
Some Aspects of Sufism as under stood and Practised among the Malays.

أما كتابه الذى يقع فى ١٠٦ صفحة من القطع المتوسط فقد قسم المؤلف فيه الحديث الى ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الاول : مدخل الى الصوفية

القسم الثانى : الصوفية كما يفهمها الملاويون

القسم الثالث : كيف يمارس الملاويون الصوفية

والحقيقة بأن المؤلف قد بذل جهدا فى هذا البحث الشيق — وبدأ الكتاب بالآية الكريمة مترجما معانيها الى اللغة الانجليزية وهى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى .. »

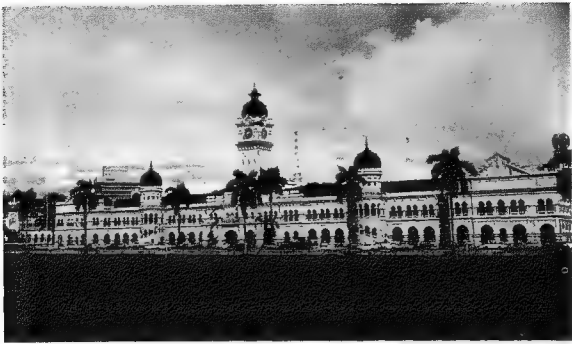


صورة لافتتاح مسجد في احدى قرى سمرجان احدى ولايات ماليزيا .

ويبدأ السيد نجيب العباس بتعريف كلية الصوفى ويقول : ان هناك اقوالا كثيرة عن سبب واصل التسمية فمنهم من يرجعها الى (الصوف) — وبعضهم يقول ان اصلها من الكلمة اليونانية (صوفيا) بمعنى الحكمة — وغيرهم ينسبها الى الصفاء أى السمو بالروح والنقاء .. ويذكر المؤلف أن التصوف من الفاحية التاريخية بدأ (بأهل الصفة) وهم من المسلمين الأوائل الذين كانوا يكتفون من الجلوس والتعب في أحد جوانب المسجد النبوى الشريف بصفة مستمرة ومنهم سلمان الفارسي .
ويعرج المؤلف بعد ذلك الى حسن البصرى وابراهيم بن ادهم ثم رابعة العدوية شهيدة العشق الالهى والتي كانت تعلم الناس كيف يحبون الله لا طمعا في جنته ولا خوفا من عذابه وناره ولكن عشقا وفناء في ذاته الواحد الأحد الفرد الصمد .

ثم تحدث المؤلف عن نظرية (المعرفة والإلهام) ثم المقامات التى يسلكها المريدون حتى يصلون الى معرفة الله . أو مرحلة الكشف والإلهام والانفتاح على عالم الروح الربانى واشراقاته الحلوة — ويقول ان لمعرفة الله لذة لا تدانيها أى لذة مادية على هذه الارض مهما عظمت .. فاللذة الروحية هى قمة اللذات ..

ثم تحدث عن وحدة الوجود التى قال بها (ابن العربى) وغيره من المتصوفين والتى عارض فيها بعد ذلك كثير من الفلاسفة المسلمين فى القديم والحديث .



بنى سكرتارية الحكومة بماليزيا ويلاحظ الفن المعماري الاسلامى .

« ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الصوفية كما يفهمها الملاييون » :

لم يستطع المؤلف أن يعطى تاريخاً ثابتاً للتصوف ونشأته فى ماليزيا (شبه جزيرة الملايو قديماً) ولكنه ذكر أن التصوف اقترن بدخول الاسلام الى هذه المنطقة — ويجزم بأن الصوفييين العرب وغيرهم هم الذين نشروا الاسلام فى الملايو — وتحسبوا لجذب كثير من الناس إلى رحاب عقيدته . وقد تم انتشار الصوفية وتركزت أسسها على أرض صلبة عام ١٤٨٨ م .

مع اعتناق سلطان (ملاقا) أو (ملاكا) (١) للاسلام والذي يروى التاريخ عنه أنه كان متصوفاً زاهداً وأن امبراطورية ملاكا ، عاشت فى ظله عصر أذهبيا .

وما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر وحدث (الصوفية) كمنهج طريقها الى الساحل الشرقى من شبه جزيرة الملايو والى سومطرة ، بل لقد ظهر أقطاب متصوفون مثل « حمزة فنصورى » فى القرن السادس عشر فى شمال سومطرة وكان يتبع الطريقة القادرية — وكان له أتباع ومريدون كثيرون . .

والمؤلف معجب جداً (بحمزة فنصورى) ويعتبره شبيهاً (بابن العربى) وهو وإن لم يكن يرقى الى مستوى ابن العربى فى المنهج والتفكير والكتابة — لكنه بالنسبة لعصره ووسطه والجو الذى عاش فيه واتباعه والطريقة التى كان يدعو بها — يشبه ابن العربى وقد ألف أشعاراً صوفية كثيرة .
ونبغ أيضاً فى الحقل الصوفى « (١٦٠٧ — ١٦٣٦) فى عهد السلطان



مبنى البرلمان في كوالالمبور «ديوان الرعية» .

« ماخونا علم » المتصوف المعروف باسم « شمس الدين السومطرائي » نسبة الى سومطرة وكان الله في عرفه هو « القدرة المحركة العظمى للكون والحياة وهو الاول والآخر والظاهر والباطن ولا تأخذه سنة ولا نوم » .

وفي سنة ٦٢٧ ميلادية ظهر المتصوف القطب الكبير الشيخ نور الدين محمد بن علي بن حسن بن محمد حامد الرانيري القرشي الشافعي وقد ألف نور الدين كثيرا من الكتب وغنسد بعضها من أقوال شمس الدين وحزمة فنصوري وله كتاب باسم « حجة الصديق لدفع الزنديق » وآخر باسم « التبيان في معرفة الديان »

الطرق الصوفية في ماليزيا : ما بين القرن الثاني عشر والسادس عشر كان يوجد بالملايو أربع عشرة طريقة أهمها القادرية والشهروردية والشسقية والشاذلية والبديوية والدسوقية والصادقية والنقشبندية والخلوتية .

وكان لكل طريقة اتباع كثيرون . يدعون للإسلام ويعرفون المسلمين بأمور دينهم ويوضحون لهم الغامض . ومكتفى بهذا القدر في هذا العدد .

(١) « ملاكا » أو « ملاقا » هي إحدى ولايات اتحاد ماليزيا ويرجع تسميتها بفلك الى أنها مكان انقضاء العرب والملايين لأول مرة - وهي مشتقة من كلمة « ملقي » العربية .

القيادة مادة الخارجية

فن الحرب

يقسم فن الحرب الى أربعة اقسام :

- ١ - تنظيم الجيوش . ويراد به تجميع واستغلال جميع الوسائل الضرورية للحرب على أحسن وجه ، ومن ذلك توزيع الرجال على مختلف الوحدات ، ودراسة الامكانيات المادية والاسلحة والذخيرة ووسائل النقل والخدمات الصحية .
- ٢ - الاستراتيجية ، وهي اعداد خطة المعركة وقيادة الجيش في المواقع الحاسمة والتعرف على المواقف التي يجب ان يتركز فيها الجهود الرئيسى خلال المعركة ، والمفاجأة هي اهم عناصر الاستراتيجية .
- ٣ - التكتيك وهو فن القتال واستخدام عناصر الجيش في الاراضى والمواقع الملائمة وتنفيذ التحركات التى تملئها (الاستراتيجية) .
- ٤ - الامدادات والتعويض ، وهي فن تقدير كل ما يمكن ان يحتاج اليه الجيش لتسهيل عملية القتال مثل المواصلات والاسكان والفضاء والملابس والمهمات والتعويض بالمواد والذخيرة .

استمرار اليقظة

كثير من الناس يقومون بأعمال تحول بينهم وبين الذهاب الى فراشهم كل ليلة مثل الطيارين وسائقى القطارات والاطباء ورجال الإطفاء والشرطة ، وليظلوا يقظين يتناولون كميات من الشاي والقهوة ، وتحتوى هذه المشروبات على كميات من (الكافيين) وهذا الدواء يظل مفعوله في الوقت الذى يصبح فيه النوم ضرورة لا غنى عنه .

الظلم العظيم

عن ابن المسيب - ان عمر ابن الخطاب قرأ (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون) فلما قرأها فرغ فلقى أبى بن كعب فقال - يا أبا المنذر آية من كتاب الله . من يسلم ؟ فقال - ما هي فقرأها عليه . . غافيا لا يظلم نفسه ؟ فقال - غفر الله لك ، اما سمعت الله تعالى يكسره يقول - « ان الشرك لظلم عظيم » انما هو ولم يلبسوا ايمانهم بشرك .

جزر الكويت

حول الكويت عدة جزر ، أكبرها جزيرة (بوبيان) لا يسكنها أحد وتقع في الشمال الشرقي من الخليج العربي ، وشمال بوبيان جزيره صغيرة اسمها (وره) وفي مدخل جون الكويت جزيرة (فيلكا) وهي جزيرة قديمة أهله بالسكان ، وبجوارها جزيرة (مسكان) وجزيرة (عوهه) وتقابل الساحل الجنوبي نفسه جزر صغيرة غير مأهولة وهي (كبر) و (قارورة) وأم (المرامد) وفي داخل الجون نفسه أكثر من جزيرة فقرب ساحل الشويخ (الجزيرة الصغيرة) وقرب رأس عشيرج جزيرة (أم النمل) .

فراغ عقلي

حكى اتقى التضاة الماوردي قال — كنت جالسا في مجلس مقبلا على تدریس اصحابي فدخل علينا شيخ قد ناهز الثمانين فقال لي — قد صدقتك في مسألة اخترت لها ، فقلت — وما هي ؟ قال — أخبرني عن نجم آدم ونجم ابليس ما هما ؟ فيدر جماعة من الحاضرين بالانكار عليه والاستخفاف به ، فكلفتهم عنه ، وقلت — هذا لا يفتق مما ظهر من حاله الا بجواب مثله ، وقلت له — يا هذا ان نجوم الناس لاتعرف الا بمعرفه موالدهم ، فان ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله ، فقال — جزاك الله خيرا ، وانصرف مسرورا .

من الاعلام

على بن محمد بن حبيب .
ابو الحسن الماوردي ، اتقى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين ، اصحاب التصانيف الكثيرة النافعة . جمل (اتقى القضاة) في أيام القائم بأمر الله المباسي ، وكان له المكاة الرفيعة عند الخلفاء . مات ببغداد سنة ٤٥٠ هـ ونسبته الى بيع ماء الورد . ومن كتبه (اعلام النبوة) و (الاحكام السلطانية) و (ادب الدنيا والدين) .

الجهاد

قال محمد بن ابراهيم : امل على عبد الله بن المبارك حين ودعته للجهاد هذه الابيات وارسلها معي الى الفضيل بن عياض :

لعلمت أنك في العبادة تلعب
فخوننا بدمائنا تتخضب
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
وهج التسابل والفبار الاطيب
قول صحيح صادق لا يكذب
أنف امرئ ودخان نار لا يكذب
ليس الشهود ميت لا يكذب

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا
من كان يخضب خده بدموعه
او كان يتعب خيله في باطل
ريج المعبر لكم ونحن عبيرنا
ولقد اتانا من مقال نبينا
لا يستوى غبار اهل الله في
هذا كتاب الله ننطق سننا

الزى الاسلامي للمرأة ومكزياته



يقول الله سبحانه وتعالى :
« يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يسنن عليهن من
جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا
يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

يأمر الله نبيه الكريم — صلوات
الله وسلامه عليه — أن يأمر نساءه
وبناته ونساء المؤمنين عامة إذا
خرجن لحاجتهن أن يغطين أجسامهن
وروسهن وجيوبهن — وهي فتحة
الصدر من الثوب — بجلابيب كاسي
فيميزهن هذا الزى ويجملهن في ما من
من معاشة الفساق أو ممن في قلوبهم
مرض فلا يتعرضون لهن بأذى أو
ريسة .

للدكتور فاروق محمود سامل

ارتداء الملابس القصرية وأخطاره

بنفسية المرأة وجبا للظهور والتبرج وعرض أجزاء من جسدها ثم استمتاعها بها يقع على سمعها من كلمات الغزل والاطراء من المصائبين والفاسقين .. ووجدت المرأة من يقوم على تشجيعها بعدم ستر عورتها بجهاز ضخم منظم يشتمل على مصممين للأزياء الحسيدة ودور للملبوسات الخليفة ومجسلات ومسابقات وعروض وأفانين ، وكلها تخضع لتحويل وإشراف اليهود طبقا لما ورد في بروتوكولاتهم من انفساد العباد وملء أوقاتهم بالفسارغ من القول وجذب انتباههم بالتافه من العمل باسم التطور والرقى والمدنية و « آخر خطوط الموضة » ليظلوا بعيدين عن أمورهم الهامة ومشاكلهم الملحة ، فضلا عن امتصاص الاموال الطائلة .

والغريب أن تكاليف الثياب القصرية أغلى بكثير من تكاليف الثياب المحتشمة البسيطة . . ولكن « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ،

والزى الاسلامى للمرأة هو ان تلبس ما يستر جسدها جميعه بملابس واسعة غير ضيقة ولا شفافة حتى لا تظهر ثنيات الجسم وتفصيله مع السماح لها بكشف الوجه واليدين حتى الرسغين ..

ولا يخفى ما ييلفه مجتمع من العفة والطهارة إذا خرجت فيه النساء لقضاء حاجتهن حيث سمع لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لعائشة رضى الله عنها « إنه قد اذن لكن ان تخرجن لحاجتك » على ان يكن محتشمت الملبس .

ولقد عسى كثير من المصلحين والباحثين فساد كثير من شباب العصر إلى تعمد المرأة الخروج كاشفة أجزاء من عورتها ظلت تزيد وتزيد فلم يبق إلا القليل المستور من جسدها . وأنرى هدامون عسديدون يفسرون ظاهرة كشف المرأة لمورتها وربطوها



(عن ميما CIBA بموسيرا)

١ - سرطان الملتحمة القبيح في القدم

يلبسن الملابس القصيرة ..
 وقيل أن أفكر تفاصيل ذلك أود
 أن أقدم له بأن الله جلت قدرته
 خلقنا وهو أعلم بخلقنا وأمرنا باتباع
 أمور تجلب لنا النفع ونهانا عن
 أشياء تضر علينا الخراب والعذاب ،
 ومفوق نفعا أو ضررها لنا فهي اختيار
 لدى طاعتنا لله سبحانه وتعالى ..
 قد لا يبدو لنا من الوهلة الأولى مدى
 النفع أو الضرر من أمر إلهي ولكن
 المؤمن الحق يؤمن به ويتممه دون
 جدل أو نقاش ، ويمرور السنين أو

ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ،
 والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .
 وصدق الله العظيم .. ثم تكون
 عليهم حسرة ..
 فبالإضافة إلى مجتمع يسيطر عليه
 الفساد والانحلال حين تتخلى المرأة
 عن ثياب العفة والنظافة ، وما يخسره
 هذا المجتمع نتيجة سلوك نسائه
 ثم شبابيه ، بالإضافة إلى ذلك فإن
 الإحصائيات الحالية تشير إلى انتشار
 مرض السرطان القبيح في الأجزاء
 العارية من أجساد الفتيات اللاتي

لأشعة الشمس فترات طويلة على
مسر السفة ، ولا تفيد الجوارب
الشفاة أو « الناطلون » فى الوقاية
منه ، ونأشحت المجلة أطباء الأوبئة
أن يشاركوا فى جمع المعلومات عن
هذا المرض وكأنه يقترب من كونه
وباء ..

**« راد قالوا اللهم إن كان سذا
هو الحق من عندك فأطر علينا حجارة
من السماء أو اتنا بعذاب اليم » .**

ولقد حل العذاب الاليم — أو جزء
منه — فى صورة السرطان الخبيث
بل أحيث أنواع السرطان . وهذا
المرض ينتج من تعرض الجسم
لأشعة الشمس وأشعة مسوق
البنفسجية فترات طويلة وهو مانوغره
الملابس القصيرة فى الحياة العادية
أو أزياء البحر على الشواطىء
ويصيب كافة الاجناس بنسب متفاوتة
ويظهر أولا كبقعة صغيرة سوداء
وقد تكون متناهية الصغر غالبا فى
القدم أو الساق (وأحيانا بالعين) ثم
يبدأ بالانتشار فى كل مكان واتجاه
بينما هو يزد وينمو فى مكان ظهوره
الأول ، فيهاجم العقد الليمفاوية
بأعلى الفخذ ويفزو الدم ويستقر
فى الكبد ويدهرها وقد يستقر فى كافة
الأعضاء ومنها للعظام والأحشاء بما
فيها الكليتان وربما يعقب غزبو
الكليتين البول الأسود نتيجة لتتهك
الكلى بالسرطان الخبيث الغازى ..
وقد ينتقل للجنين فى بطن أمه ..

ولنا أن ننصور حالة إنسان مصاب
بكل هذا يتمنى الموت فيه خلاصا من
الآلام والدمار ..

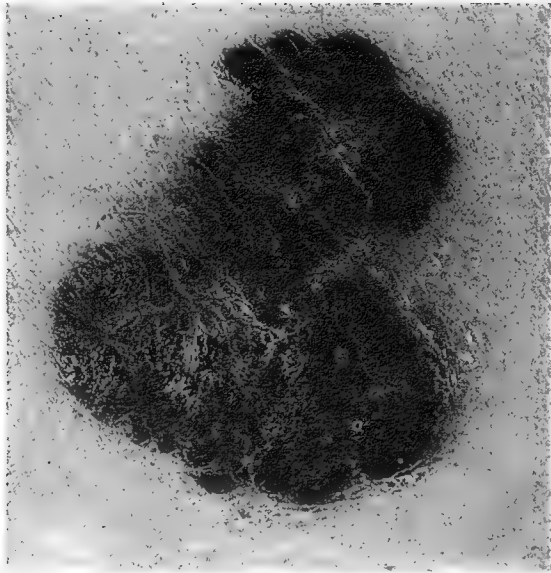
ولا يميل هذا المرض صاحبه
طويلا ولا يميل العلاج بالجراحة
فرصة للنجا كباقي أنواع السرطان
الخبيث ..

علما بأن هذا السرطان الخبيث
لا يستجيب إطلاقا للعلاج بجلسات
الأشعة ..

الدهور تتجلى الحكمة الإلهية فيما
أمرنا باتباعه أو اجتنابه ، ذلك هو
الإيمان بالغيب « الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون » . « ليعلم الله من يخافه
بالغيب » فالمعروف أن العقل يعتمد
على الحواس التى هى محدودة
مقيدة ومالا تتركه الحواس لا يدركه
العقل . وليس معنى ذلك أن نلغى
نعمة العقل والتفكير فلم نؤمر بذلك
بل على التقضى أمرنا بالتدبر والتفكر
واستعمال عقلنا فى غير ما شطط أو
ضلال ، ونلزم العقل الأصول والقواعد
خشية التردى فى الهلوية (كما
يحدث الآن للحضارات الأجنبية فى
أوروبا وأمريكا وآسيا) .

« ومع ذلك كله تجسد غينا من
لا يصيخون السمع إلى صوت الدين ،
وهم يلحدون فى آيات الله غيملون
بها عن وجهها حينا ، ويجادلون فيها
أشد الجدل حينا آخر . ولكنهم
يخضعون لهذه المزاعم الداعسة
ويرونها فوق النقاش والمراء . هؤلاء
قوم لا تقوم عندهم الحجة بالقرآن ،
ولكنها تقوم بهذه الظنون والأوهام
فيذا عارضتهم بالثابت من قول الله
سبحانه وتعالى — وهم يزعمون أنهم
مسلمون — لووا روعسهم وقالوا :
نحدثك فى العلم فنحدثنا فى الدين ؟
كأن هذه الأوهام أثبت عندهم من
القرآن » وعلى كل فسنحدثهم بالعلم
لعل فيه عبرة لهم وهداية ، فلتقد
نشر فى المجلة الطبية البريطانية (١)
أن السرطان الخبيث (الميلانوما
الخبيثة .

Malignant Melanoma) والذى
كان من أندر أنواع السرطان أصبح
الآن فى تزايد وأن عدد الإصابات فى
الفتيات فى مقبل العمر يتضاعف
حاليا حيث يصبن به فى أرجلهن وأن
السبب الرئيسى لشيوع هذا
السرطان الخبيث هو انتشار الأزياء
القصيرة التى تعرض جسد النساء



٢ - السرطان الخبيث في ساق مريض (عن سيبا CIBA بموسمرا)

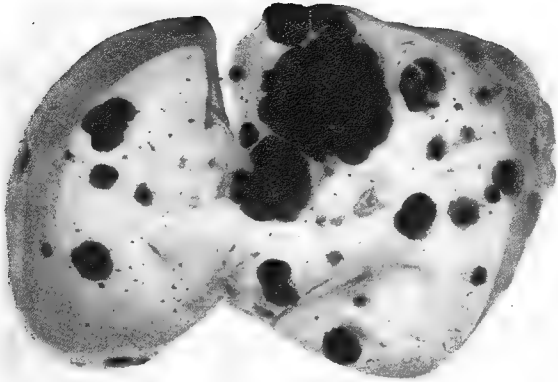
البلدان ان حذرت الناشئة من تصاطعها . .

وعلى الرغم من ان امراض الزنا (الامراض السرية) ابادت ملايين الناس رجالا ونساء عبر السنين إلا ان الزنا منتشر . .

وعليه فلا نتوقع ان يبدأ المسؤولون في نصح الفتيات بعدم ارتداء الملابس القصيرة إلا بعد أن تسقط الضحايا منه بالآلاف . . ضحايا للاستغلال والمصالح الخاصة والكسب الحرام على حساب أرواح

وبعد ، فعلى الرغم من ان التدخين يسبب سرطان الرئة وسرطان المثانة وامراض القلب والتهاب الشعبات الهوائية المزمن (٢) إلا أن نسبة المدخنين ثابتة بل لربما في تزايد واتصى ما فعلته الجهات الصحية في أوروبا ان أجبرت شركات الدخان ان تكتب عبارة « التدخين قد يضر بالصحة ! » وذلك على كل علبة من الدخان . .

وعلى الرغم من أن امراض الخمر كثيرة جدا وقاتلة فأتصى ما فعلته الجهات الصحية المسنولة في بعض



٢ - قطاع بالكبد وقد غزاها الممرضان الفطري (الاسود) من كلية الجراحين الملكية بلندن)

« تلك حدود الله ، ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك الفوز
العظيم ومن يعص الله ورسوله
ويتمد حدوده يدخله نارا خالدا فيها
وله عذاب مهين » .

وعلى فتياتنا المسلمات أن يفوتن
الفرصة على دعاء الفساد وأن
يتمسكن بتماليم دينهن الحنيف يكسبن
رضاء الله ويسلمن دنيا وينجين
آخرة .

البشر . .
على فتياتنا ولن يشجعهن على
التخلي عن زيهن الاسلامي محاكاة
وتقليدا ما قد تبين لنا أن التقليد ضار
بل يؤدي للهلاك في الدنيا وفي
الآخرة . . فسواء من الناحية
المادية فالاثمان باهظة ومرتبعة . .
أم من الناحية الاجتماعية تفكك
وميوعة وضلال . .
أم من الناحية الصحية فالعذاب
البدني والموت المحقق . . وللعذاب
الآخرة اشد وأبقى . .

١٣٠ م من ١٩٧٢/١/١٥
٧٦٢ م من ١٩٧٢/٢/١٥

B.M.J. (١) المجلة الطبية البريطانية
B.M.J. (٢) المجلة الطبية البريطانية



لوز مع

البليس

...

الاستاذ محمد لبيب البوهي

عدت الى دارى حزين النفس كئيب الفؤاد .. لقد كنت فى جولة حدث خلالها ما أشاع فى نهار النفس السواد .. لاشيء قد عاد يدخل السرور الى القلب .. فما السرور الحق غير أمراح الروح .. ولن تسعد الروح الا بها هو من طبيعتها .. ولكن كل شيء فى تلك الجولة كان يثير الاشجناز .. شباب على جنبات الطرق أكثر ما يشغلهم إرسال البصر فى محاسن القاديات .. وسباب بين متعاركين لغير ما سبب جاد .. وجلوس على المقاهى بلا هدف .. وتفاهات تبدو فى أشياء كثيرة .

عدت الى دارى وصدفت عن طعام العشاء .. حتى الصلاة تراخيت عنها وقلت فى نفسى : سأنهض قبيل الفجر وأصلبها .. وآويت الى فراشى ورحبت انقلب ذات اليمين وذات الشمال .. واذا بى أجده بعد هنيهة قائما امامى .. ولقد كنت من قبل أظنه يأتى وله قرون سوداء ملتوية كقرون الكباش .. وفى وجه أسود كالنجم .. ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. لقد جاء على صورة أحد هؤلاء الذين لقيتهم فى الجولة المحزنة .. لقد كان يبدو وسيما .. أو بمعنى أكثر دقة يضع على وجهه هذا الفناع .. كما يكون الغطاء المطر الانيق على شيء عفن كربه ، ولكن أمره لم يخف على نفسى .. لقد عرفته على الفور .. وهميت من فراشى لأنهره مثيرا الى الباب ليذهب .. والى النافذة ليخرج منها ، والى الجدار لينفذ من مسامه الصباء .. فانه يستطيع ذلك فى سهولة ويسر .. ولكنه ظل ثابتا .. وأشعل سيجارة .. وراح يخن ثم قال : انت الذى دعوتنى بصورة ما .. ذلك انه يبدو أنك تريد أن تدخل معى فى حوار .

قلت فى غيظ : ان القحة تبلغ بك دائما حدا لا يطاق .. والاغبأى حق تفرض نفسك هكذا ايها الرجيم على الناس ..؟!

ه : قال فى هدوء وهو ينفث دخان سيجارته ، فيتلوى الدخان فى أفق الحجرة كأنه الأمامى : إننى لا أفرض نفسى على أحد .. إننى فقط عندما أدعى الى النداء .. إنهم دائما يلقون اللوم على .. وينسون انفسهم ، إننى لست أكثر من تاجر أعرض بضاعة .

س : ولكلك خبيث غاشى تخفى بضاعتك المغفنة المسممة فى أغلفة مزينة .. وليس ذلك بمستغرب منك فانك انت الذى ابتدعت الخداع .

ه : يا عزيزى .. إننى لا أعرض بضاعة واحدة .. وليست هذه البضائع جاهزة عندي .. إننى أهينها لساعتها وأقدمها وفق مواصفاتهم .. إننى لست أكثر من مساعد لهم .. إنك تظن أننى أغشهم فأقدم البضاعة فى لفائف تخفى حقيقتها .. إنهم يتفخرون بما قد يحاول آخرون أن يخفوه .. إنها درجات يا سيدى كما ترى .. عندي بضاعة للربنى الساذج .. وأخرى لشادات المدن .. حتى العلماء .. إن منهم كثيرين من زبائنى .

س : .. العلماء ..!! أى صنف من العلماء ؟

هـ : جميع اصنافهم حتى الذين يتصدون للوعظ .. اننى أسجد لهم وأسميهم بكار العباقرة .. وانهم قد أوتوا ما لم يؤت غيرهم من البلاغة ، فمنهم من يشمخ حينئذ بأنفه تيهيا وعجبا .. وبذلك تذهب تركات عملهم في غياهب تيه الإعجاب ، وتتحول كلمات الوعظ على السنة هذا الصنف الى كلمات جوفاء لها رنين الصلصال ، إنه يحلولى أن اتعامل مع هذا الصنف .. ان إثارة روح الإعجاب بالنفس هي بعض بضاعتى .. وإبنى كما أغرى الاغنياء بطلب المزيد من الفنى حتى يشغلوا بالزائل .. فانه يطيب لى ايضا أن أغرى الزهاد بطلب المزيد من الفقر .

س : يبدو أنك تهذى فيما أرى .. وإلا فما معنى أن تغرى الاغنياء بالمزيد من الفنى ، وتغرى الزهاد بالمزيد من الفقر .. ؟؟

هـ : قال ضاحكا : إنك تريد أن تنفذ الى أعماق بعض أسرار مهنتى .. لا بأس سوف أكشف لك الغطاء عن بعضها ، لاننى أريد أن أنفذ الى قلبك بطريقتى الخاصة .. إننى أغرى الاغنياء بطلب المزيد من الفنى حتى يصبح طلب المال فى حد ذاته هدفا لهم ، وأغريهم بالحرس عليه وحراسته .. فتضيع أيام الحياة فى هذا العبث ، ولن يجدوا بعد ذلك فى الطرف الآخر غير الهباء .. إنهم لن يقدموا بين أيديهم شيئا يجدونه هناك .. أما الزهاد فأننى أحاول أن أغريهم بالمزيد من الفقر .. حتى ينصرفوا عن الدنيا انصرافا تاما .. فينالها منهم أعداؤهم الذين يسعون ويميلون .. إن من بضاعتى دعوة الناس الى التطرف .. أعنى بعض الناس .. إننى أدعو كثيرا من الشباب ليتشبها بالنساء .. وانخفض أمام الكثيرات من النساء فى تواضع ومودة مشيرا عليهن أن يتشبهن بالرجال .. إن الأمور حينئذ تختلط .. وتفقد القيم موازينها .. إنهم سوف يجدون فى هذا الانحراف لذائذ شتى .. إننى كما ترى خبير فى تلوين الحياة التى يشتهونها .. كى أدخل السرور الى قلوبهم .. تستطيع أن تسمينى فنانا من نوع خاص .. ولا بأس أن تدعونى كما تريد بصانع اللذات .

س : قلت غاضبا : يمكنك أن تخدع غيرى .. ذلك لاننى قد خبرت بضاعتك .. إنك تذهب باللذة العظمى فى سبيل نشوة حسية عابرة .. الا ترى أنك حين تدعو شابا للنظر الى محاسن امرأة تصرفه عما وعد به من لذة الروح ؟ أعنى أن اللذة العابرة للبصر تحقق اللذة الكامنة فى أعماق البصيرة .. وأن الذى يطلق لسانه فى الفير ، ويجد نشوة ما فى لهو الحديث سرعان ما يزحف الران على قلبه .. ؟؟

هـ : قال الخبيث فى هدوء وقد نهض وراح يذرع حجرى طولا وعرضا بغير إذن منى : أعلم ذلك .. إنهم يدفعون الثمن راضين .. أرجو الا تنسى أننى تاجر أعرض ألوانا شتى ، وانهم يتزاحمون على أبواب متجرى .. إن متاجرى تحسن عرض ما لديها وأنا واسع الثراء .. لقد جنيت منهم — أعنى من عيلائى — أرباحا طائلة ، لقد تعاملت على مدار أجيال العصور مع أكثر عظماء التاريخ .. إن لى ذكريات كثيرة مع قبايل .. وقوم نسوح .. وعاد وثمود .. وإخوة يوسف .. و... و... و...

س : قلت فى مزيد من الغيظ وكأننى أبغى أن أصده عن هذا الاسترسال فى التفاخر : نعم .. نعم .. نعم أعلم ذلك عنك ، وأعلم أنك صديق وزميل لتيبورلنك .. وهولاكو .. ونابليون .. وكثير من أمثال هؤلاء .. وكثير من القياصرة ..

ويبدو اننى ادخلت السرور الى قلبه بهذا الاطراء . ولكنه ما لبث بعد هنيهة ان عبث وتجهم وجهه حتى ازداد تفحفا وقال : ولكن هناك امر قد يخفى عليك وعلى الآخرين . . إن هؤلاء العظماء الذين تدعوهم اصدقاء لى وزملاء هم بعض أسباب تعاستى . . إن أعمالهم أغنى جرائمهم تنسب الى . . وبذلك يزدون من حجم مسؤوليتى . . ويثقل بهم ميزان حسابى .

فاظهرت الشماسة به . وقد رأيته حزينا على خلاف ما كنت اتوقع فقلت : إن كل واحد من هؤلاء كان يضع فى كل ساعة واحدة من ساعات حياته فى ميزانك من اثقال الجرائم ما قد لا يستطيع ان يفعل مليون من عامة الناس . . إننى أعلم ذلك عن يقين . . وإننى لسعيد لانه لم يعد لك كما ترى عملاء من هذا الصنف .

هـ : فانفجر الرجيم ضاحكا واثار الى الجدار ، فبرزت شاشة بيضاء كأنها شاشة (السينما) ، واندفع صوت نفثات تنطلق فى الجو . . وصياح صبية تحصدهم المناجل . . وامهات يولولن . . ثم رجل فى أقصى الغرب سعيد بهذه المناظر ويصدر الاوامر بالزيد منها ، ثم قال ايليس : لا يخلو عصر من كبار عملائى . . هذا احدهم كما ترى ، إنه يريد أن ينجح فى انتخابات بلاده فى أقصى الغرب . . على حساب ملايين من البشر الذين يسفك دماءهم فى أقصى الشرق . . إنه يريد أن يصبح رئيسا فحسب على جثث كل أهل الأرض . . وعلى كل حال فإننى أنا وحدى الذى أجنى الثمار فى النهاية . . لان هؤلاء يعبرون أيامهم مجرد عبور .

س : قلت : وما نوع علاقتك بهم — هل تظهر لهم المودة والوفاء ؟

هـ : فعاد يقول : لقد رأيته منذ لحظات حزينا كاسف البال . . ذلك ان كل جريمة من جرائم هؤلاء تبعثنى عن طريق الرحمة خطوات . . إن الواحد من هؤلاء ما ان يتم ما أمره به حتى يصيبني منه ما يشبه الإعصار الذى يهوى بى بعيدا بعيدا عن منبع النور .

س : قلت : وأنا أمسك براسي من الدوار : إننى لا أفهمك ايها الرجيم اللئيم . . كيف تحزن حين تجد نفسك بين اعوانك هؤلاء سيذا مطاعا ؟

هـ : قال وقد بدت بعض الدموع تترقرق فى مآقيه : ألا ترى أن الاجرب قد يلند حين يحك جلده حتى يدميه ؟! ألا ترى أنه لو امتنع هؤلاء عن طاعتي لخلت جرائمى . . ولأمكن أن اتصور بزوغ بعض الأمل فى أفق حياتى . . إننى أوسوس لهم ولغيرهم ، وبودى لو عصونى ، كالسكر الذى يكره الخير ، ولكنه قد أصبح مدمنا لا يستطيع من أمرها فككا . . ومن أجل ذلك فإنه يطيب لى دائما أن أرى عملائى وهم يتجرعون هول ما قدمت أيديهم .

س : قلت : تعنى أنك تفرح بما يصيبهم يوم يقدمون حسابهم للسما . . ؟!

هـ : قال : لا . . إننى أترك للسما حسابها الذى تراه يوم الدينونة . . أما أنا . . هنا على الأرض . . فإنه ما من آثم اتبى إلا حرصت على الانتقام منه قبل أن يموت . . إننى قد أرغمه وهو مساه غافل حتى القى به من حالى الى الهاوى السحيقة . . ويطيب لى أن أرسل ضحكات الشماسة أمام أبصارهم . فى لحظاتهم الأخيرة . . استحضر فى ذهنك من تعرف من العصاة ابتداء من

شارب الخمر .. إلى محمن الأميون .. إلى عباد الفواني .. إلى كبار عباقرة
الإجرام التاريخي .. إني أنا وحدي الذي أخذ بأيديهم في أول الأمر إلى حيث
يشتهون .. ولكن لا أحد ينتهي بنهاية طيبة على الإطلاق — إما الفضيحة ..
وإما العار .. أو السجن .. أو المرض ، أو عذاب النفس ، أو الانتقام من
أعراض ذويهم — إنهم كما يضعون أحجار أوزارهم في ميزاني أنتقم منهم قبل
أن يموتوا — وهذا بخلاف ما ينتظرهم هناك .

وعلا صوت إيليس مجلجلا قويا ، غاضبا ناثرا هادرا كاللوج ، وهو
يصيح : ولكنهم لا يرجعون .. إن الملايين منهم يبخثون عني ويسبرون خلفي عن
طواغية .. إنك لن تستطيع أن تثبتي بإنسان وقع بين يدي ثم نجسا من
مخالي .. تذكر ما أصاب فرعون .. وهامان .. وقارون .. وقتلة الأنبياء ..
وعطاء التنثار .. إن نفس المصير ينتظر عما قريب مشعل النار في فيتنام
وأرض النبوات ..

س : قلت : يبدو أنك تريد في بعض الأحيان أن تكون واعظا .. ؟
هـ : فقال وقد استرد من جديد تمام هيئته الشيطانية وتحم وجهه وصاح :
إني لا أعظ أحدا .. إنها أفكر لك محسب سنة من سنن الحياة .. أنه قدر
مكتوب يجب أن اللقاء وأن يلتقاء معي كل من تبعني .

س : علمت ما تنزله بأولئك الذين يضاعفون من حجم آثامك .. إنك بعد
أن تمد لهم في خيط اللذات تعود فتنقم منهم بصور شتى .. حتى إن التاريخ
ليعي بحق المصائر الكئيبة التي أنتهى إليها كل ظالم أو جبار ، ولكن ما شأنك
مع مئات الملايين من أولئك الذين يرتكبون كل يوم الآثام العادية ، أعني تلك
الردائل التي قد لا تتعدى محيط أصحابها ؟

هـ : قال في هدوء خبيث : إني لست ظالما بالقدر الذي تتصور .. إن
السهم ترتد بقدر قوة شدك لها .. هؤلاء يصيبهم جزاء من جنس ما عملوا ..
إن السكر يفسح الطريق لولده ليقنّدي به .. وكذلك الكنوب .. وتارك الصلاة
.. هناك أسر بأسرها قد تعيش في مثل هذا التيه باسم تقليد ولى أمرها ..
أو باسم العادة التي فرضت سلطانها على هذه الأسرة .. إلا النصارى ، أو
ما تتغلب فيه إرادة قوية لحكمة من عند الله .. إن العبيد الذي يطيب له أن
ينتهك الأعراض .. ترتد قوسه فتمزق عرضه في أحد أفراد أسرته من قسري
أو من بعيد .. إن الآثام كالأمراض لها ميكروبات تنقل نفس العدوى .. أعني
نفس جرثومة المرض .. إن العبيد قد لا يشاهد بنفسه صورة أعماله وهي
تتكرر في إحدى زوايا الأسرة .. ذلك أنه كما قد يبلغ في إخفاء أمره .. فإن
ما يقع قد يظل أيضا في طور الخفاء .. هذا بالطبع ما لم تحدث توبة
صادقة .

س : قلت : وبمناسبة التوبة .. لعلك تبدو شديد الأسف حين تجد
آثا يتسبب .. ويرجع عن طريقك .. فبتناقص بذلك عدد عملائك .. ؟ إني
أتصورك حينئذ وأنت تعض أظفارك من الغيظ .

هـ : قال الرجيم : قد لا تستطيع أن تصدقني إذا أجبك بأنني شديد
التقدير والاحترام لأولئك الذين أعجز عن الوصول إليهم — هنسأك على سبيل
المثال فتى حاولت معه .. وأخذ يصدني وحاولت .. وحاولت .. وبذلت له كل

صنوف الإغسراء .. ولكنه كان دائماً يكتشف مكاتى .. ويرى صورى البشعة
خلف كل عمل مزين .. لقد استطاعت إرادته أن تصرع إرادتى .. وفى النهاية
قررت الابتعاد عنه .. وأصبحت بعد ذلك كلما قابلته فى طريق أنحنى له تحية
وإعزازا .. وأشعر اننى إزاء رجل بحق ، والآخرين أطفال مهما تقدمت
بهم السن .

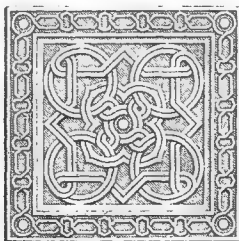
.. .. .

أخذت أتعجب مما أسمع من حديث هذا اللعين .. وأنا فى حيرة بين
تصديق كلامه وتكذيبه .. إنه يستطيع أن يضع على وجهه من الانتمية
ما يشاء .. حتى يبدو وكأنه الواعظ الصادق .. لقد كان يتحدث أحياناً بصوت
خافت هادىء مرتب .. وإذا أبعثت النظر والفكر وجدت هذا الحديث ينقلب رويدا
رويدا الى ما يشبه فحيح الأفاعى ثم يعود صوته مرة أخرى فيجلجل كالعاصفة
المهوجاء .. فأهز رأسى وأعود الى الشك فى كل ما يقول .. أو على الأقل
فى الاهداف التى يرمى اليها .

وقد كنت أود أن يمتد بيننا الحوار لأعرف طرائقه فى أسلوب معاملاته .
واكتشف عن كثير من طرائق حياته .. غير أن الجدار الذى خلفى قد انشقق ..
وبدا من جوفه صوت كالرعد يدعو .. وكأنه قرأ ما يجول فى ذهنى فقال :
سوف تسعد الآن بفارقتى أياك .. إننى مدعو لانتخابات الرئاسة عند أولئك
الذين يظنون أن أقدار الشعوب قد صارت فى قبضة أيديهم .. سوف أعشش فى
رأس كبيرهم .. لأحشو هذا الرأس بخفافيش الأفكار السوداء التى حشوت
بها رؤوس أمثاله من قبل .

وبسط الرجم عبائه فبدأ كخفافش أسود كبير يملأ بجناحيه الفضاء ثم
انطلق .. وما زلت أتابعه حتى بدا فى الأفق وكأنه قد أصبح نقطة صغيرة
سوداء .

ونفضت رأسى كأننى أصحو من نعاس .. راغباً فى استكمال الحوار
بصورة أخرى فى وقت قريب .





سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيعي وقسيسي

كتاب يقع في (٤٠٠) صفحة .. وضعه الأستاذ عبد الله العلمي ..
إظهاراً لحقائق خفيت على النصارى وتقريباً بين الأديان السماوية .. ودفاعاً عن
العقيدة التي تقر بها جميع الأديان .. وهي وحدانية الله وتنزيهاً للسيد المسيح
عما ينسب إليه .
وقد جعل المؤلف كتابه هذا على شكل مناقشات وحوار بين شيخ -
وقسيس ... وقد قام بأعداد الكتاب وتنقيحه وتحضيره للطباعة نجس المؤلف
الدكتور عبد الحليم العلمي .
والكتاب ينقسم إلى إحدى عشرة سلسلة .. متضمنة جميعها الأبحاث
التي دار الحوار فيها بين الشيخ والقسيس ...

تفسير سورة يوسف عليه السلام

كتاب يقع في جزئين كبيرين ... من تأليف الأستاذ عبد الله العلمي ...
والكتاب يوضح طابع اليهود والنصارى الموروث من آباؤهم ... ويرد على
مفتريات دعاة التبشير على الدين الاسلامي الحنيف .. ويدعو الى البحث الحر
.. ونبذ التقاليد الاعمى ... وقد تضمن الكتاب بحثا مستفيضاً عن عقيدة
التوحيد في التوراة والانجيل .. كل ذلك في ظلال تفسير سورة يوسف ..
والكتاب يعتبر مرجعا هاما للعلماء والخطباء والوعاظ والمرشدين
ولا يستغنى عنه طالب علم .
وقد قدم الكتاب وأشرف على إعداده وتبويبه نجل المؤلف الدكتور عبد
الحليم العلمي .
والجزء الأول ينتهي بصفحة (٦٧٢) .. والثاني ينتهي في صفحة (١٤٨٠)
وهو من مطبوعات دار الفكر بيروت .

المحور الثاني

الجزء الأول من كتاب يحمل بين صفحاته أجوبة لأسئلة كثيرة متنوعة أجاب عنها مؤلفه فضيلة الشيخ عبد الله النوري مستندا إجاباته من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتدور هذه الأسئلة حول العديد من المواضيع منها ما يتعلق بكتاب الله وتاريخ الرسل والرسالة ومنها ما يتعلق بالروح والمغيبات والمعتقدات كما يحتوي الكتاب أيضا أجوبة على استفسارات عن العادات البدع والخرافات ومشكلات المجتمع وشؤون المرأة وغير ذلك . والكتاب يقع في (٤٢٨) صفحة ومن طبع دار الهنا للطباعة بالقاهرة .

الفتاوى

اموال الدولة

السؤال :

ما حكم المنتسب على من يسرق من اموال الدولة .. ؟

الإجابة :

لا تجوز السرقة من اموال الدولة ، والسارق ان كان من المولفين المكلفين برعاية هذه الاموال كان ذنبه اكبر لانه من الخائنين ، والخيانة لا تحل مطلقا ، وعلى من علم به ان يرمع امره للمسئولين كى يصون اموال الدولة وينال السارق جزاء الخائنين ..

والمنتسب عليه يعتبر فى الاسلام مشاركة فى المعصية يستحق به السائر العقاب كما يستحقه السارق، روى ابو داود عن سمرة بن جندب قال : اما بعد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يكتم غلاما مثله » والغلول هو السرقة من المغنم قبل قسمته ومثله تماما الاموال العامة .

التبريض

السؤال :

قرأت فى بعض كتب الفقه انه يجوز للمرأة الاجنبية خدمة الرجل ومشاهدة عورته حال المرض ، فما مدى هذا القول من الصحة .. ؟

الإجابة :

يقول المحقق الشيخ محمد الحامد الحموى إن هذا النقل ان صح بتجوز تبريض المرأة الرجل الاجنبى منها ورؤيتها عورته حال المرض فهو محمول على حال الضرورة القصوى حيث لا يوجد رجل له معرفة بالطب والدواء ، ومعلوم ان الضرورات تبيح المحظورات ، وانها تقدر بقدرها ، فلا يجوز للمرأة الممرضة حيث تعينت للمداواة اطلاق البصر فيها وراء موضع العلة ، بل يجب ان يكون نظرها بتحفظ دقيق ويقصد المعالجة ..

وهذا الذى نقل ان صح — مقيد بهذا القيد الدينى — وقد ذكر الفقهاء ان الطبيب الرجل له مداواة المرأة المريضة حيث لا توجد امرأة تقوم على علاجها ، قالوا : وينظر الى موضع العلة فقط ، ويفض بصره ما أمكنه الغض وبذا يلقى نظر فقهاءنا مع ما نقله السائل .

المصحف

السؤال :

هل يجوز شرعا بيع المصحف وشراؤه .. ؟
الإجابة :

اتفق الفقهاء على جواز شراء المصحف ، واختلفوا في بيعه ، فأباحه الأئمة الثلاثة ، وحرّمته الحنابلة ، وقال أحمد : لا أعلم غى بيع المصحف رخصة .

بيع المضطر

السؤال :

لنا جار مدين واضطر لبيع بعض أثاث داره لتسديد ما عليه من الدين ، ولما عرضت الأشياء المطلوب بيعها قدر ثمنها بأقل من الواقع ، فهل يجوز لى شرعا شراء بعض هذا الأثاث بالثمن المقدّر مع علمى بانه أقل من قيمته الحقيقية ؟
الإجابة :

المطلوب فى هذه الحالة شرعا أن يعان المضطر أو يقرض حتى يفرج كربته والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .
وإذا لم تجد النفس بالمعون أو القرض فالأفضل والأورع أن تشتريه بقيمته الحقيقية ، وليس هناك ما يمنك وفى هذا أيضا عون لأخيك وتيسير عليه ، فإذا اشتريته بالقيمة المقدرة مع أنها أقل من القيمة الحقيقية صح البيع مع الكراهة لما فيه من شائبة الاستغلال .

العربون

السؤال :

اشتريت سيارة من صديق لى ودفعت له جزءا من الثمن أو ما يسمى بالعربون ثم عدلت عن شراء السيارة ، وطالبت صديقى برد المقدم الذى دفعته له ، فهل يحل له شرعا أخذ هذا المبلغ .. ؟
الإجابة :

أجاز الإمام أحمد بيع العربون لما رواه نافع بن عبد الحارث أنه اشترى لعمرو دار السجن من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، فان رضى عمر كان البيع نافذا وان لم يرض فلفصفوان أربعمائة درهم .

شبكة الصياد

السؤال :

يحدث أن يشتري أحد الناس من صياد السمك قبل أن يلقى بشبাকে ما يقع فى هذه الشبكة من السمك بمبلغ من المال ، وقد تخرج الشبكة وليس فيها شيء وقد تخرج وفيها قليل من السمك وقد تخرج وفيها الكثير ، فهل هذا البيع حرام أم حلال .. ؟
الإجابة :

هذا البيع يسمى بيع الفرر ، وهو بيع المجهول وهو قريب من القمار ، وقد نهى الشارع عنه ، ومنع منه .

الجهر بالبسملة

السؤال :

ما حكم الجهر بالبسملة في الصلاة عند قراءة الفاتحة ، وغيرها من السور ؟ .
الإجابة :

اختلف العلماء في ذلك ، فبعضهم استحباب الجهر بها ، وبعضهم كره ذلك وأحب الأسرار بها وهذا هو الأرجح والأفضل لما ثبت في الحديث الصحيح عن أنس - رضي الله عنه - قال :
كان النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ، وجاء في معناه عدة أحاديث وورد في بعض الأحاديث ما يدل على استحباب الجهر بها ولكنها أحاديث ضعيفة ، ولا نعلم في الجهر بالبسملة حديثاً صحيحاً صريحاً يدل على ذلك ، ولكن الأمر في ذلك واسع وسهل ولا ينبغي فيه النزاع ، وإذا جهر الإمام في بعض الأحيان بالبسملة ليعلم المأمومون أنه يقرأها فلا بأس ، ولكن الأفضل أن يكون الغالب الأسرار بها عملاً بالأحاديث الصحيحة .

ميراث المفقود

السؤال :

توفيت امرأة عن زوج واختين شقيقتين وأخ شقيق مفقود ، وتركت (١١٢٠) ديناراً كيف تقسم هذه التركة ؟ .
الإجابة :

تقسم هذه التركة على تقديرين :

- ١ - الورثة على فرض حياة المفقود زوج وأختان شقيقتان وأخ شقيق .
الزوج يستحق ٥٦٠ ديناراً ، وكل أخت تستحق ١٤٠ ديناراً ، والأخ المفقود لو كان حياً يستحق ٢٨٠ ديناراً .
- ٢ - الورثة على فرض وفاة المفقود زوج وأختان شقيقتان .
الزوج يستحق ٤٨٠ ديناراً ، وكل أخت تستحق ٣٢٠ ديناراً ، في حالة وفاة المفقود .

وبالمقارنة بين انصباء الورثة نجد أن نصيب الزوج ٥٦٠ ديناراً في حال حياة المفقود ، و ٤٨٠ ديناراً في حال وفاته ، فيأخذ أقلهما وهو ٤٨٠ ديناراً ، وأن نصيب كل أخت ٣٢٠ ديناراً حال وفاة المفقود ، بينما نصيب كل منهما ١٤٠ ديناراً حال حياته ، فتأخذ كل منهما النصيب الأقل وهو ١٤٠ ديناراً .
ونحجز للمفقود نصيبه على فرض حياته وهو ٢٨٠ ديناراً مضاعفاً إليه الفرق بين نصيب الزوج حال حياة المفقود ونصيبه حال وفاته ، ومقداره ٨٠ ديناراً ، فيكون مقدار المحجوز ٣٦٠ ديناراً .

فإذا ظهر المفقود حياً أخذ نصيبه وأخذ الزوج فرق نصيبه ، أما الأختان فلا شيء لهما ، لأنهما قد أخذتا ميراثهما على فرض حياته .
وإذا ظهر المفقود ميتاً رد المحجوز كله إلى الأختين ، ليكمل لكل منهما نصيبها حال وفاة المفقود ، فتأخذ كل منهما ١٨٠ ديناراً ، وقد أخذت قبيل ذلك ١٤٠ ديناراً ، فيكون مجموع ما أخذت كل أخت ٣٢٠ ديناراً .

اعداد : عبد الحميد رياض

حضارات الكويت القديمة

هل ظهرت في الكويت حضارات قديمة .. ؟

محمد علي - البصرة

تدلنا الآثار التي كشفت عنها البعثة الأثرية الدانمركية في جزيرة فيلكا على أن منطقة الكويت وما حولها كانت عامرة في الأزمنة القديمة باسكان ، وإن طرق التجارة البحرية كانت تمر بسواحلها وخاصة بجزيرة فيلكا التي اتخذها سكانها الأندميون مركزاً لتزويد المراكب المارة بها بالماء والطعام منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ..

وهذا واضح من الأختام المستديرة التي عثر عليها في تل سعد .. ويرجع تاريخها إلى سنة ٣٥٠٠ (ق. م) ، وهي تختلف عن أختام العراق الأسطوانية ، وأختام الهند المربعة ، وتدلنا على أن حضارة هذه المنطقة ذات طابع خاص بالرغم من تأثرها بحضارة بابل وآشور وبلاد اليونان . ويظهر أثر بابل في بعض الآثار كالأختام والكتابة المسهارية ، كما أن البعثة الدانمركية وجدت آثاراً يونانية في موقعين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، ووجدت في أحدها قوالب لتمثالين صغيرة منهنسا رأس الاسكندر وآلهة الجمال (افروديت) وآلهة النصر وغيرها ، ووجدت في الموقع الآخر النقوش والأعمدة المختلفة من الطراز اليوناني ، وفي موقع ثالث وجدت في عام ١٩٣٧ قطعة من الحجر نقش فيها كتابة يونانية واضحة .

فهذه الآثار تؤيد الروايات التاريخية المدونة في كتب المؤرخين القديمة التي تصف لنا عودة أسطول الاسكندر من الهند إلى العراق سنة ٣٢٥ (ق. م) عن طريق الخليج العربي وعزم الاسكندر على فتح بلدانه للسيطرة على سواحلها ، وتشبيد الموانئ والمدن فيه . (عن الكتاب السنوي لوزارة الاعلام)

تحويل القبلة

لماذا تحول المسلمون إلى الكعبة بعد صلاتهم إلى بيت المقدس ، وما هو دور اليهود في هذه الفترة .. ؟ سيف الدين عمر - الأردن

... ..

يروى السدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى نحو بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر به وكان يجب أن يصلى إلى

قبل الكعبة مأنزل الله سبحانه : « **قد نرى تقلب وجهك في السماء** » ..
 وفى رواية أبى اسحاق عن البراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه نحو الكعبة . فنزلت الآية أمرة بالتوجه للكعبة ..

وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تكون الكعبة هى القبلة للمسلمين هو سرور اليهود لاستقبال المسلمين ببيت المقدس . وإشاعتهم بين الناس فضل دينهم على كل دين ..

ثم كشف الله عن المسلمين ما هم من ضيق وجاء أمره لرسوله أن يحول وجهه شطر المسجد الحرام وكان الأمر فى المدينة - والمعروف أن أغلب سكانها فى هذه الفترة من اليهود - ونزل قول الله واضحا جليا يعلن بقوة فى صورة تكشف عن مدى الجهد الذى كان يمانيه الرسول لوقاية أمته من الفتنة ، مبعدا عنها التلق ومعيذا اليها الرضى والثقة « **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** » .

وصلى الناس الى البيت الحرام الذى هو أول بيت وضع للناس للعبادة منذ أن رفع إبراهيم وإسماعيل قواعده على تقوى من الله ورضوان .
 ولقد ظهر حرص اليهود - فى وقت مبكر من بزوغ فجر الدعوة المحمدية - على أن يخلقوا جوا من البلبلة فى نفوس المسلمين والمحيطين بمكان الدعوة ، حتى يصرفوهم عن هديها الواضح ، كى لا يقتنع الناس بها للإسلام من ميزات وبما له من سلطان على النفوس ، فيحولون دون دخول من فتح الله قلوبهم له ، وكان هذا الحرص عن سبق أصرار وعداء كامن فى نفوسهم الحاقدة على الإسلام ونبيه وأتباعه ، لذلك اتخذوا توجه المسلمين فى صلاتهم لبيت المقدس ورقة رابحة - فى زعمهم - يحركونها حسب أهوائهم ووفق رغباتهم الحاسنة على الإسلام والمسلمين ، فعندما أمر الله رسوله أن يصلى الى الكعبة ثارت نفوسهم الخبيثة ، اذ كيف يرضون أن يكون للمسلمين قبلة يجتمعون عليها ، قبلة تربطهم برباط الايمان الذى به تتوحد مشاعرهم مع الاختلاف فى الجنس واللسان واللون .

لا يرغبون أن تكون لهم قبلة واحدة يتجه اليها المسلمون لتحقيق منهج واحد ينبثق منه هدف واحد هو عبادة اله واحد تحت راية واحدة هى راية خاتم الرسل النبى العربى ، ما كان حرصهم هذا عن جهل أو عن عفوية وانما كان عن عناد وتناد فى التفضيل والله سبحانه يقول : « **وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** » .

هذا هو المنطلق الذى منه ينطلقون وعلى أساسه يخططون ، ويتيمون الامور وفقه ، لا يقتنعون بدليل مع عليهم بصدقه ، وصدق من أتى به ولا يذعنون للحق الذى جاء به الرسول مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكنه الكفر والعناد والجحود : « **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما اتباعوا قبلك** » كيد لا يفتر فى المواجهة وفى الخفاء ، وقد كان ذلك مسلحكم قبل أن تحول القبلة ، ولأزمتهم فى كل فترات حياتهم ، حتى كان ما كان من أمرهم اليوم ، قتل وتشريد للأبرياء ، تحت ستار الدين ، لا يردهم منطق ولا أخلاق ، ولكن الذى يردهم ويجعل كيدهم فى تحرهم هو الاعتصام بديننا ومنهج نبينا ففهم قوتنا وعزتنا .

بأقلام القراء

رسالة من كندا

للاستاذ احمد صبرى برغشى :

فيلم ملون اتفق التصوير بدأ برجل بدوى حائى القديمن يجمع قطع حجارة فى الصحراء ويرسها الى جوار بعضها حتى جعل منها مريعا كبيرا . ثم وقف بين الحجارة وبدأ يصلى . وبالطبع فهم المشاهدون أن الرجل يصلى لطلب تلك الأحجار . ولم يطلق المصور على ذلك المشهد أو يوضح لماذا وضع تلك الأحجار أمامه قبل أن يتوجه للصلاة — وبعدما انتقل المصور الى أماكن العبادة للمسلمين فمر بكل ما يشرف سريعا ، وركز تركيزا على كل عورة ، كيف يرتص الشيعة في إيران والمراق ومر بالكويت والسعودية والقاهرة ولكن لم يظهر من تلك البلاد إلا ما يجب أن يستر ..

لم يظهر من العراق الا مكان صغير اجتمع فيه رجال يرتدون السواد ويكون ويندبون ولم يقل شيئا ليوضح ذلك ، ومن كل القاهرة لم نر سوى سطح مسجد يسير عليه المصور وترافقه فتاة محبرية تدرس في الجامعة . هكذا قيل ، وتشعر كيف بنى المسجد ومن بناء ولا شيء آخر . وفجأة قفز المصور الى بلد آخر من بلاد المسلمين وهو باكستان ، ولم يجد المصور هناك سوى جماعة تجلس في حلقة كبيرة يتوسطهم رجل اشعث أغبر شعره يتدلى على كتفيه

تمودنا أن نشاهد الكثير من البرامج التي تسخر من العرب وتهزأ بهم على شاشة التلفزيون في كل أنحاء القارة الامريكية — خاصة بعد حرب الأيام الستة ..

وإذا كان العرب قد تخافوا وتقاعدوا سياسيا وعسكريا وأصبحوا مثالا للتندر والتفكه بين أمم العالم .. فمن العار أيضا أن يتركوا دينهم وعقيدتهم تعرض على غير المسلمين مشوهة ومحرقة .. كما حدث منذ بضعة اشهر أن عرض على شاشة التلفزيون فيلم من إنتاج محطة CBC وهي أكبر محطة صهيونية نسي القارة كلها والفيلم اسمه : مكة المدينة المحرمة — وتم تصويره في الأراضي المقدسة — والفيلم في ظاهره يعرض مراسم الحج — ولكنه يخفى بين طياته سموما أراد بها المصور أن يظهر المسلمين على أنهم شعوب بدائية همجية ، وخرج المشاهد غير المسلم بذلك الاتطباع وأن الكعبة الشريفة هي رب المسلمين وإليها يتوجهون بصلاتهم ومبادتهم — ومنذ أسبوعين دأبت نفس الشركة على الاعلان عن سلسلة بعنوان الاسلام مستعرض تريبال ويتكرر الاعلان بحيث جعل المشاهد يترقب ويترب . حتى بدأ عرض الحلقة الاولى ..

المدينة في الغرب الكندي ، لنا امرأة صديقة غير مسلمة ، منذ تعرفنا عليهم وهم يدرسون ديانتنا لما لفت أنظارهم من تقاليدنا ، الصوم والصلاة وعدم التمرى والابتذال ويشهد الله أنني شعرت أنهم كانوا في طريقهم إلى الاسلام ، حتى كانت تلك الحلقات الراقصة المبهذلة فصدمتهم ومن يومها وكل مناقشنا تدور حول الرقص في الديانة الاسلامية ، والاسلام من كل ذلك برىء - ولقد بلغت والله يشهد .

وقفة مع العلم والإيمان

من كلمة الأستاذ محمد سيد أحمد المسير نقطف ما يلي :

قد ارتكزت على العقل والتفكير الملمى إذ هو خصيصة النوع البشرى وهو الذى يصحبه دائما أيا كان موقعه .

ولهذا أرسى القرآن قواعد البحث وأصول التفكير كما يلي :

حرر العقل من روائس التقليد وعادات البيئة .

ونعى على اتباع الظن والهوى . وأرشد إلى العناية بحواس الإنسان استخداما لها فيها خلقت له .

وأمر بالبحث فى ملكوت السموات والأرض .

لفت النظر إلى قوانين الاجتضاع وسنة الله فيها سلف من الأمم وأكد استمرارها ولن تجد لوجه الله تبديلا .

وحرصا على هذه الأصول قرر القرآن عقائد الإيمان كلها مدعمة بالحجة والبرهان وليس به قضية بلا دليل أو دعوى بلا بيينة حتى فى باب الأدب الخلقى فقال : « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

وكان الشمار الذى رفعه القرآن فى جداله دائما هو :
(قل هاتوا برهانكم) .

وبين أصابعه قطع نحاسية يدقها ببعضها والآخرى يطلبون له ويذمرون وهو يتلوى ذات اليمين واليسار فى حركات مضحكة مخبولة وقيل إن هذا بعض من طقوس المسلمين فى باكستان . ثم قفز إلى تونس ومنها خرج عدة رجال مسمى يدهم دغوف يدقون عليها ورؤوسهم تعلق وتهبط وكان بهم مس من الجنون وهذه أيضا طقوس إسلامية .

بقيت كلمة أخيرة ، أنا وأسرته المسلمون العرب الوحيدون فى هذه

الحق الذى لا مرية فيه هو أن النهوض بالإنسان ومجتمعه يجب أن يتسم بالواقعية والمثالية ، بحيث تكون هناك موازنة دقيقة بين رغبات العقل ونزعات النفس ومقومات الجسد ، أو بمعنى آخر الموازنة بين المادة والروح .. فذلك طبيعة الإنسان فهو مادة وروح ، وغذاء المادة فيما قدر الله فى الأرض من اقوات وما سخر من كائنات ، وغذاء الروح فيما أنزل من وحى وما شرع من هدى .. ومتى اجتمع الغذاء المادى والروحى استقامت الحياة على عودها ... فيعرف الإنسان منهج عبادته ربه ، وسبيل تهذيبه نفسه ، وطريق معابله الناس حوله ، ويدأب فى امتلاك ناصية الكون وكشف أسرارهِ ونواميسه تحقيقا لحسن الخلافة فى الأرض ..

غير أن هناك شبه أسطورة تقول أن الدين والعلم تقيضان . فالإيمان ليس عقيدة وكفى به هو منطلق لأنه نهاية شوط العقل ، والمحدود لا يحيط بغير المحدود ، والكون بأجزائه وجزيئاته يتطق بالحقيقة الكبرى .

وحيث كانت رسالة الاسلام خاتمة لطاف الرسالات الإلهية ، وعامة لجميع الأزمنة والأمكنة فهمى



قالت صحف العالم

الدعوة الى الاسلام

نشرت مجلة دعوة الحق المغربية كلمة تحت هذا العنوان تقول فيها :

إن الدعوة وحدها لا تكفى ، ما دام المسلمون بواقس حالهم ضدا على الاسلام ، فإنهم اذا ادعوا انه دين التوحيد ، كذبهم ما يتعلقون به من احجار واشجار ورسم ، ناقضين بذلك عقد التوحيد ، مشركين مع الله غيره ، فيسر مخالفين لعباد الاصنام إلا بالادعاء ، واذا قالوا بأن عباداته تهذب النفوس ، وتركى الأرواح ، وتنعكس آثارها على السلوك والأخلاق ، لم يصدق قولهم مع تفشى الرذائل فى المجتمعات الاسلامية على ما هو مشاهد ، واذا وصفوا شريعته بأنها أسس الشرائع ، وأنها تحقق العدالة الاجتماعية على اكمل وجه ، وتصور حقوق الأفراد والجماعات بقوانين لا تطل فى العدل والإنصاف ، لم يطابق الوصف ما يتخبط فيه المسلمون من فقر ومرض وجهل وظلم ، واذا تحدثوا بأنه دين العزة والكرامة والوحدة والقوة والمنعة ، كان حاضر المسلمين وما هم عليه من ذلة وهوان وفرقة واختلاف وخضوع للحكم الأجنبى ، لا يتوافق وما يتحدثون به .

والخلاصة أن المسلمين يفتكروهم لدينهم ، وعدم تمسكهم بتعاليمه ، يحولون بينه وبين الناس ، ويقفون فى وجه الدعوة اليه فلا تؤتى إلا قليلا من النتيجة ، ولذلك قال الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه - إن الاسلام محجوب بالمسلمين . ولعلمهم بحالهم هذه قد صاروا ممن تشملهم الآية الكريمة التى تقول (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) فأنى توجهت بنظرك تجد حجابا كثيفا مسدولا على محاسن الاسلام من انحراف المسلمين .

والمسلمون بذلك يعرفلون الدعوة ، ويحتلمون إنها كبيرا فى الصد عن سبيل الله . . فليجاء فى حديث المعراج أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شئ إلا خرقتة - وذلك فيها رأى من آيات الله ليلة المعراج - فقال - ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا مثل اقوام يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله » وبالعكس لو كان المسلمون على هدى من ربهم وإقامة لما جاء به نبيهم ، وتمثل لقيم الاسلام العليا ، وعمل برسائله الخالدة لكان كل واحد منهم داعيا الى الله ومبشرا بكلمته الحق ومستحقا للثواب الجزيل الذى جملة الله للدعاة الهداة ، على ما جاء فى الحديث الصحيح (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس) .

ولسنا نقل من فائدة الدعوة أو نصرف الداعين عن مهمتهم المقدسة ، وإننا نريد أن يكون للدعوة مفعولها وتأثيرها العظيم فى الدلالة على الله والتبشير بدينه ، وذلك باستقامة المسلمين على الطريقة وإعطاء المثل الصالح من أنفسهم

على هداية الاسلام . وبالأحرى نريد أن ندعو المسلمين أولا الى الاسلام والنمسك
بمروته الوثقى . ثم نتوجه بعد ذلك الى دعوة غير المسلمين . فإن النبيجه حينئذ
ستكون اعظم من كل تقدير . وكما كانت فى البدء عند ظهور الإسلام .

البهائية

نشرت مجلة جوهر الاسلام التونسية كلمة تحت هذا العنوان نقطف منها

ما يلى : -

عقيدهم

- ١ - إن للوحي تاويلات سامية . ومناعيم خفية لا يجليها إلا ربها ، الباب
أو البهاء . . وما يعلم تأويله إلا الله . . أى الباب أو البهاء .
 - ٢ - ادعى البهاء المهدوية . ثم الرسالة . وأنه نزل عليه كتاب الأقدس
الذى نسخ جميع ما تقدمه من الكتب السماوية . ثم ادعى الألوهية وأمر بمصادرة
البشر .
 - ٣ - القول بموت عيسى صلبا . وعدم عودته بنفسه . وإنما نحل روحه
فى غيره . والغير هنا رئيس المذهب الباب ثم البهاء .
 - ٤ - إنكار معجزات الأنبياء والبعث والحشر والوعد والوعيد والجنه
والنار . ولهذا ارتكبوا تاويل النصوص الدالة عليها بما يتنافى مع اللغة والدين .
 - ٥ - نسخ جميع الأديان ورسوم عبادتها والحدود الواردة فيها لعدم
صلاحيتها للعالم فى عصر التقدم . ولهذا جاء البهاء بدينه الجديد للأحمر والأسود
وقد ورد فى أحكامه :
 - أن الصلاة تسع ركعات فى البكور والزوال والأصال . وقد سطت مسلاة
الجماعة . والقبلة عكا والحج إليها للرجال دون النساء . وتحريره الحجاب
وإباحة السفور والاختلاط . وجعل الحدود عقوبات مادية . وغير ذلك من
مفترياتهم وكذبهم .
 - ٦ - الصلاة تسع ركعات تؤدى على ثلاث مرات يوميا كل صلاة ثلاث
ركعات . حين الزوال ، فى البكور ، فى الأصال .
 - ٧ - قبلتهم (عكا) حيث قبر بهاء الله .
 - ٨ - الصوم من الشروق الى الغروب ، ولا قضاء على من لم يؤد الصوم .
 - ٩ - الحج الى أحد المزارات الثلاثة :
 - ١ - الدار التى ولد بها البهاء بشيراز .
 - ٢ - الدار التى أقام بها البهاء بالعراق .
 - ٣ - عكا حيث يرقد بها البهاء .
 - ١٠ - يتزوج البهائى من غير البهائية ، وتتزوج البهائية غير البهائى .
 - ١١ - سن الرشد ١٥ عاما للذكر والأنثى .
 - ١٢ - تتساوى الأنثى مع الذكر فى الميراث .
- قال تعالى :
- (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء
ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة
باسطوا أيديهم أخرجا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على
الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) .



اعداد : فهمي الامام

السكوت : تم توزيع جوائز سمو نائب الامير وولي العهد المعظم على المتفوقين في حفظ القرآن الكريم من الطلاب في الاندية الصيفية .

● قال الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية في خطابه امام مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز والذي عقد في مدينة (جورج تاون) - قال : إن منطقتنا تتعرض لأبشع أنواع الظلم منذ أُنشئت إسرائيل وفق المخطط الصهيوني ، وعلى حساب شعب فلسطين الذي طرد من وطنه .

● صرح سعادة الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الإسلامية عقب عودته من زيارته الرسمية لسورية بأنه بحث مع المسؤولين هناك موضوع عقد مؤتمر لوزراء الأوقاف العرب ، وأنه سيستكمل هذا البحث أثناء حضوره مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الذي سيعقد في القاهرة خلال هذا الشهر ..

● تم توزيع جوائز سمو نائب الامين وولي العهد المعظم على المتفوقين في حفظ القرآن الكريم من الطلاب في الاندية الصيفية .

● أقامت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية حفلها السنوي المعتاد بمناسبة ذكرى الإمراء والمعراج بمسجد السوق الكبير .

● صادف يوم ٢١ أغسطس الذكرى الرابعة للجريمة النكراء - إحراق المسجد الأقصى المبارك - وقد قدمت برامج خاصة من الإذاعة والتلفزيون بهذه الذكرى الاليمية .

● قرر مجلس الوزراء التبرع بعشرة آلاف دينار مساهمة في نشاط اتحاد الطلبة المسلمين في كندا والولايات المتحدة .

● كما قرر مجلس الوزراء إعفاء المواطنين الليبيين من الإجراءات اللازمة لدخولهم الكويت .

● طلب مجلس الوزراء من بلدية الكويت تخصيص موقع لإنشاء مسجد في ميناء سمود واعتماد المبلغ اللازم لإنشائه .

● اشتركت الوزارة بمجموعة من كتب التراث الاسلامي التي اصدرتها بجانب مجموعة من الكتب الإسلامية بلغات مختلفة في معرض الكتاب الإسلامي الذي تقيمه دار الفتوى في لبنان .

القاهرة : اتخذت خطوات ايجابية على طريق الوحدة الشاملة بين جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية الليبية .. وستعلن الوحدة رسميا بين البلدين في سبتمبر من العام القادم أن شاء الله .

● أجرى وزير الشؤون الدينية الأندونيسي مباحثات مفيدة مع الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر تناولت وضع الطلبة الأندونيسيين الذين يدرسون بمصر ، ومساهمة وزارة الأوقاف في إمداد المركز الإسلامي الذي سينشأ في (جاكرتا) بالكتب الدينية .

● اقترح الأمين العام لجامعة الدول العربية عقد مؤتمر عربي في وقت قريب لإقرار خطة عمل عربي مشترك لتحرير الأراضي العربية .
السعودية : تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ (١١٥) ألف جنيه استرليني لبناء مركز إسلامي في كيبالا بأوغندا .

● تبرعت المملكة العربية السعودية بخمسة آلاف جنيه استرليني مساهمة منها في بناء جامع الأزهر بمدينة (سوث سيلدن) البريطانية .

● قررت وزارة المعارف إنشاء مركز ثقافي في صنعاء تدعيا للروابط بين المملكة والجمهورية العربية اليمنية .

● صادقت خمس دول إسلامية حتى الآن على ميثاق المؤتمر الإسلامي . صرحت بذلك مصادر الأمانة العامة الإسلامية لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

المغرب : شرح الجنرال (ساليبادا بانسداتون) - العضو البرلماني الفلبيني ورئيس الجمعية الإسلامية الفلبينية - حقيقة وضع المسلمين في الفلبين لكبار المسؤولين في المغرب ..

ليبيا : وقعت أوغندا مع ليبيا اتفاقات للمعونة والتجارة تبلغ قيمتها (١٥) مليون جنيه استرليني .

السودان : أعلن الرئيس السوداني أنه على استعداد لاعادة الاسلحة التي زودت (بعض الدول) بها السودان بنصف ثمنها . لأن هذه الاسلحة رديئة ..

البحرين : تم توقيع اتفاق بين البحرين والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية يقضي بإقراض البحرين بمبلغ (٧٢٠٠٠٠٠٠) دينار كويتي .

دمشق : أقام سفير دولة الكويت في دمشق حفل عشاء تكريما لوزير الأوقاف الكويتي وقد حضر الحفل عدد من الوزراء ومفتي الجمهورية ومحافظ دمشق .

لبنان : افتتح ساحة مفتى الجمهورية اللبنانية جامع حبانا .. حيث أدى فيه خطبة الجمعة وأم الناس في الصلاة .. وقد أقيم احتفال برعايته لإنشاء جامع ومدرسة بساقية الجزير في جامع بعلشمية .

أخبار متفرقة

● **ماليزيا :** تعقد في ماليزيا في الشهر القادم (أكتوبر) المنافسة الدولية لحفظ القرآن الكريم وقد اشترك فيها متنافسون من ٢٦ دولة .

● افتتح تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا مؤتمر وكالة الانباء الإسلامية العالمية بكلمة تحدث فيها عن أهداف الوكالة وغاياتها وتنظيماتها .. وكان مما قال : إن مهمتها لن تقتصر على تعبئة الرأي العام في البلاد الإسلامية بل إنها ستقيم جسرا بين هذه البلاد ، وتنشئ جوا أفضل من التفاهم بين الأمم الإسلامية وغير الإسلامية ، والمساعدة على دفع عجلة التطور في مجتمعاتها .

● **باكستان :** تقرر أن تكون اللغة العربية مادة إجبارية في مدارس المقاطعة الشمالية الغربية - بباكستان . صرح بذلك الوزير المركزي للحكومة الباكستانية .

مَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ حَسَبَ التَّوْقِيتِ الْمَحَامِي لِدَوْلَةِ الْكُوَيْتِ

المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الفروي					
شعبان		رمضان		شوال		ذو القعدة		ذو الحجة		محرم	
س	د	س	د	س	د	س	د	س	د	س	د
١	٩	٢٩	١١	١٨	٢٦	١٩	١٦	١١	٢٩	١١	١٩
٢	١٠	٣٠	١٢	١٩	٢٧	٢٠	١٧	١٢	٣٠	١٢	١٩
٣	١١	٣١	١٣	٢٠	٢٨	٢١	١٨	١٣	٣١	١٣	٢٠
٤	١٢	١	١٤	٢١	٢٩	٢٢	١٩	١٤	١	١٤	٢١
٥	١٣	٢	١٥	٢٢	٣٠	٢٣	٢٠	١٥	٢	١٥	٢٢
٦	١٤	٣	١٦	٢٣	٣١	٢٤	٢١	١٦	٣	١٦	٢٣
٧	١٥	٤	١٧	٢٤	١	٢٥	٢٢	١٧	٤	١٧	٢٤
٨	١٦	٥	١٨	٢٥	٢	٢٦	٢٣	١٨	٥	١٨	٢٥
٩	١٧	٦	١٩	٢٦	٣	٢٧	٢٤	١٩	٦	١٩	٢٦
١٠	١٨	٧	٢٠	٢٧	٤	٢٨	٢٥	٢٠	٧	٢٠	٢٧
١١	١٩	٨	٢١	٢٨	٥	٢٩	٢٦	٢١	٨	٢١	٢٨
١٢	٢٠	٩	٢٢	٢٩	٦	٣٠	٢٧	٢٢	٩	٢٢	٢٩
١٣	٢١	١٠	٢٣	٣٠	٧	٣١	٢٨	٢٣	١٠	٢٣	٣٠
١٤	٢٢	١١	٢٤	١	٨	١	٢٩	٢٤	١١	٢٤	١
١٥	٢٣	١٢	٢٥	٢	٩	٢	٣٠	٢٥	١٢	٢٥	٢
١٦	٢٤	١٣	٢٦	٣	١٠	٣	٣١	٢٦	١٣	٢٦	٣
١٧	٢٥	١٤	٢٧	٤	١١	٤	١	٢٧	١٤	٢٧	٤
١٨	٢٦	١٥	٢٨	٥	١٢	٥	٢	٢٨	١٥	٢٨	٥
١٩	٢٧	١٦	٢٩	٦	١٣	٦	٣	٢٩	١٦	٢٩	٦
٢٠	٢٨	١٧	٣٠	٧	١٤	٧	٤	٣٠	١٧	٣٠	٧
٢١	٢٩	١٨	٣١	٨	١٥	٨	٥	١	١٨	٣١	٨
٢٢	٣٠	١٩	١	٩	١٦	٩	٦	٢	١٩	١	٩
٢٣	٣١	٢٠	٢	١٠	١٧	١٠	٧	٣	٢٠	٢	١٠
٢٤	١	٢١	٣	١١	١٨	١١	٨	٤	٢١	٣	١١
٢٥	٢	٢٢	٤	١٢	١٩	١٢	٩	٥	٢٢	٤	١٢
٢٦	٣	٢٣	٥	١٣	٢٠	١٣	١٠	٦	٢٣	٥	١٣
٢٧	٤	٢٤	٦	١٤	٢١	١٤	١١	٧	٢٤	٦	١٤
٢٨	٥	٢٥	٧	١٥	٢٢	١٥	١٢	٨	٢٥	٧	١٥
٢٩	٦	٢٦	٨	١٦	٢٣	١٦	١٣	٩	٢٦	٨	١٦
٣٠	٧	٢٧	٩	١٧	٢٤	١٧	١٤	١٠	٢٧	٩	١٧
٣١	٨	٢٨	١٠	١٨	٢٥	١٨	١٥	١١	٢٨	١٠	١٨

« الى راغبى الاشتراك »

تصلفا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتغاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متمد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالتمهدين

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

عدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مسقط : المكتبة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الابيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمان : الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجاني — ص.ب ١٣٢ .

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

الدوحة : سالم الانتصارى — الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

- حديث الشهر (الحسم والحسام) ... لدير ادارة الدعوة والارشاد ... ٤
- فكرة الخير والشر ... للدكتور محمود محمد قاسم ... ٨
- طريق الايمان ... للاستاذ امين شنار ... ١٦
- القرآن وعلم الفلك ... د. محمد جمال الدين المفدى ... ٢٥
- نظرية الاعدام ... للاستاذ محمود مهدى استانبولى ... ٣٢
- دور جامعة الازهر فى الطب ٤٣
- السنة ومنزلتها من القرآن ... للدكتور عبد الله محمود شحاته ... ٤٤
- واجبنا نحو الاسلام ٥١
- اصول العلاقات الدولية ... للدكتور محمد الدسوقي ... ٥٦
- بين الفلاسفة والفزالي ... للدكتور محمد عاطف العراقى ... ٦٤
- الحسن البصرى ... للشيخ محمد الصانق عرجون ... ٧٢
- التصوف فى ماليزيا ... للدكتور جمال حماد ... ٨٠
- مائدة القارئ ٨٨
- الزى الاسلامى للمرأة ومزاياه ... للدكتور فاروق محمود ساهل ... ٩٠
- حوار مع ابليس (قصة) ... للاستاذ محمد لبيب البوهى ... ٩٦
- مكتبة المجلة ... اعداد : الاستاذ عبد الستار فيض ... ١٠٢
- الفتاوى ... التحرير ... ١٠٣
- بريد الوعى ... اعداد : عبد الحميد رياضى ... ١٠٦
- باقلام القراء ... التحرير ... ١٠٨
- قالت الصحف ... التحرير ... ١١٠
- الاخبار ... اعداد : فهى الامام ... ١١٢
- مواقيت الصلاة ... التحرير ... ١١٤